منهجية تحليل النصوص التاريخية
المغرب في العصر الحديث
(1790-1631)

تقديم

منذ القرن السادس عشر تعددت وتنوعت المصادر والوثائق المتعلقة بتاريخ المغرب سواء في عهد الدولة السعدية أو الدولة العلوية. وذلك نتيجة لمجموعة من الأسباب نذكر من بينها حرص الملوك السعديين والعلويين على تدوين سيرهم وأخبارهم وانتشار الزوايا بمختلف مناطق المغرب سواء كزوايا محلية أو جهوية أو وطنية[1] وحرصها هي الأخرى على كتابة تراجم لشيوخها لإظهار مكانتها وتبرير استمرارية تواجدها

---

[1] يمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من الزوايا: الزوايا المحلية والزوايا الجهوية والزوايا الوطنية والتي يتعدى في غالب الأحيان إشعاعها المغرب ليصل إلى الدول الأخرى مثل الناصرية والدرقاوية والتيجانية. وغالبا ما تخضع الزوايا لصيرورة متشابهة للانتقال من زاوية محلية إلى زاوية وطنية.
انظر:

Laroui, Abdallah, Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830-1912), Paris, 1977,pp.131-133
Laroui, Abdallah, Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830-1912), Paris, 1977, p.131 sq.

ونفوذها لدى السكان بل دعم مشروعيتها لدى المخزن والمغاربة.

ولترسيخ السلطة المخزنية لجأ المخزن إلى تعيين القواد والباشوات والقضاة والأمناء بمختلف الجهات للإشراف على التسيير الاداري والقضائي مما نجم عنه مراسلات بين المخزن المركزي والمحلي، أي بعبارة أخرى مجموعة وثائقية ضخمة من الرسائل بين السلاطين وممثليهم المحليين وكذا شيوخ الزوايا أو بعض الأعيان. وهي المجموعة الوثائقية الغنية بالمعلومات والموجودة حاليا في الخزانة الملكية بالرباط. وقد تم نشر البعض منها[1] واستغلالها من طرف كثير من الباحثين المغاربة سواء في اطار دراسات موضوعاتية أو مونغرافية، مما أسفر عن الكشف عن كثير من الجوانب والمظاهر التاريخية التي كان يشوبها كثير من الغموض، بل ساهمت في إعادة قراءة التاريخ المغربي بالاعتماد على الوثائق المغربية مما ساهم في كشف

---

[1] قام الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور بنشر مجموعة من الوثائق وخاصة المراسلات الرسمية ضمن مجموعات دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية.
بنمنصور عبد الوهاب، مجموعة الوثائق 1-4، المطبعة الملكية، الرباط، 1976-1977.

الجوانب الاديولوجية المشوهة لهذه الكتابات وضع الأطروحات الاستعمارية موضع تساؤل.

بما أن المخزن كان همه الأساسي ايجاد الموارد المالية لتسيير الجهاز المخزني، فقد نهج سياسة اقتصادية وضريبية اختلفت من سلطان لآخر. وهذا أدي بطبيعة الحال إلى وجود وثائق تتعلق بالتبادل التجاري وسجلات للضرائب كسجلات الترتيب العزيزي والتي تضمنت معلومات إحصائية ينذر وجودها في وثائق أخرى وأفادت كثير من الباحثين في إنجاز دراسات مونغرافية معتمدة على معطيات إحصائية وظفت لدراسة السكان والحياة الاقتصادية والاجتماعية[1].

بالإضافة إلى هذه الوثائق التي تم جردها من طرف كثير من الباحثين، توجد مصادر متنوعة وضخمة مشكلة من الوثائق الأجنبية سواء في الدول الاسلامية كتركيا مثلا أو الدول

---

[1]. قام السلطان المولى عبد العزيز بإصلاح ضريبي تمثل في إلغاء الضرائب القديمة واعتماد ضريبة واحدة سميت بالترتيب تحدد حسب ممتلكات الشخص. وتم تعيين لجان لإحصاء الممتلكات. وقد أفادت المعلومات الاحصائية كثير من الباحثين في إنجاز دراسات مونغرافية دقيقة كدراسة أحمد توفيق حول انولتان:
التوفيق، أحمد، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر. اينولتان (1850-1912)، الدار البيضاء، 1978.

الأوروبية كفرنسا وانجلترا واسبانيا والبلاد المنخفضة. والبرتغال....الخ. فمنذ القرن الخامس عشر أخذت الدول الأوروبية تهتم بالمغرب أكثر من أي وقت مضى.

ترجم الاهتمام الأوروبي بكتابات حول المغرب من طرف الأسرى ورجال الدين والدبلوماسيين والعسكريين.

وقد تم نشر العديد منها[1] و لا زال الكثير من هذه الوثائق منها في دور الأرشيف خاصة ما يتعلق بالقرنين التاسع عشر والعشرين.

---

[1] للتعرف على المغرب قصد استعماره جندت فرنسا مجموعة من الباحثين لترجمة المصادر وجمع الوثائق ونشرها، ومن بينها اللجنة التي ترأسها هنري دو كاستري حيث قامت بنشر مختلف انواع الوثائق الموجودة في دور الأرشيف بأوروبا تحت عنوان المصادر الأصلية لتاريخ المغرب والمتعلقة بالدولة السعدية والعلوية. كما قام عدد من الباحثين بنشر وثائق ومصادر مثل مورسي مكالي التي ترجمت رحلة توماس بيلو وبيير كريون الذي نشر المراسلات القنصلية للويس دو شينيي:

Grillon, Pierre, Un chargé d'affaires au Maroc. La correspondance du consul Louis de Chénier (1767-1782), Paris, 1970.

Magalli Morsy, La relation de Thomas Pellow. Une lecture du Maroc au 18è siècle.

إلا أننا هنا سنكتفي بعرض بعض النماذج من النصوص التاريخية وتحليلها وتتمثل أساسا في الكتابة التاريخية التقليدية خلال عهد الدولة العلوية أي منذ بيعة مولاي الشريف سنة 1631 وإلى غاية فترة حكم سيدي محمد بن عبد الله (1757-1790) ونموذج من المراسلات السلطانية (رسالة للمولى إسماعيل) والمراسلات الأجنبية (رسالة للقنصل الفرنسي لويس دو شينيي). وقبل تناول النصوص بالتحليل، من البديهي التطرق إلى السياق التاريخي العام.

I.السياق التاريخي العام

1.قيام الدولة العلوية

في الوقت الذي ضعفت فيه السلطة السعدية وتقلص نفوذها إلى أحواز مراكش وفاس، ظهرت بالأقاليم حركات جهوية من بينها حركة العلويين بمنطقة تافيلالت. وعلى عكس السعديين الذين وصلوا إلى الحكم بمساندة الزوايا وتبني الجهاد لتحرير البلاد وإيقاف الغزو الايبري للمغرب، فقد ظهر العلويون كحركة سياسية عقب انهيار السلطة السعدية. فالفراغ السياسي استدعى القوى المرابطية والشرفاء للقيام بالأدوار المنوطة سابقا بالمخزن المركزي.

وأكدت جميع الدراسات على الدور السياسي للشرف سواء بالنسبة للسعديين أو العلويين، بل إن الشرف حل محل العصبية في قيام وتدهور الدول. وكانت الأضرحة المنتشرة عبر

المغرب رمزا لنفوذ الزوايا والشرفاء. ففي المغرب تنتشر القباب الخضراء في القرى والمدن مرتفعة عن المنازل ذات الطابق الواحد في اتجاه السماء مما أضفى عليها هالة وقدسية لم تقتصر على الحرم المقدس بل شملت السلالة المنحدرة من الولي. وتجسدت روابط التقديس ليس فقط في الايمان والمعتقدات وما رافقها من طقوس ولكن كذلك في احترام وتبجيل الأولياء والشرفاء وشيوخ الزوايا لما يلعبونه من أدوار مختلفة تحفظ التوازن الاجتماعي بين مختلف المكونات القبلية.

وكان ضريح مولاي علي الشريف بتافيلالت أكثر الأضرحة قدسية ليس فقط بالمنطقة ولكن إشعاعه عم مختلف مناطق المغرب لاعتقاد السكان في الشرفاء المنحدرين من آل البيت وبركتهم وقدراتهم الخارقة[1]. ومن هنا المكانة الاجتماعية المرموقة التي أهلت الشرفاء العلويين كما أهلت شيوخ الزوايا لملئ الفراغ السياسي الناجم عن تدهور الدولة السعدية وتسيير

[1] .laroui, Abdallah, les origines culturelles et sociales du nationalisme marocain (1830-1912)

الشؤون العامة على المستوى الجهوي إلى غاية سنة 1670 تاريخ توحيد المغرب تحت سلطة مولاي رشيد.

وإلى جانب هذه الاعتبارات لا يمكن فصل قيام الدولة العلوية عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية وعن الأوضاع السياسية بالمغرب في بداية القرن السابع عشر.

أ. الوضعية الاجتماعية بتافيلالت

لعبت الواجهة الصحراوية دورا اقتصاديا وسياسيا هاما منذ الفتح الاسلامي. فقد أدت الفتوحات الاسلامية، بفتحها للطرق عبر الصحراء في اتجاه الجنوب، إلى إدماج الدول الواقعة جنوب الصحراء في الاقتصاد العالمي. فالصحراء لعبت، بالنسبة للحضارة الاسلامية، دورا شبيها بالدور الذي لعبه البحر في الحضارة الأوروبية.

حدد تنوع المعطيات الطبيعية بالمنطقة، وجود الواحات على طول أودية زيز ودرعة، والمجال الصحراوي الرملي الشاسع وجبال الأطلس الكبير ذات الغطاء النباتي الضعيف والمساحات الزراعية الضيقة، نمط عيش السكان: الاستقرار

والترحال والانتجاع. حيث أن مجموعات كبيرة كانت تعيش في الخيام وأخرى في المنازل المبنية بالطين المدكوك، والملتصقة ببعضها البعض داخل القصور. في حين زاوجت الأغلبية بين الاستقرار والانتجاع حسب فصول السنة.[1]

يطلق اسم القصر على القرى المحصنة في الجنوب، وهو من الظواهر المعمارية لمجتمع الواحات. ويظهر لأول وهلة من شكل القصر، الأسوار العالية والجدران المتينة والباب الوحيد، أنه يشكل وحدة دفاعية واجتماعية كما توحي بذلك الأعراف الداخلية للقصور المتعلقة بالأمن الداخلي والحراسة والحياة الاجتماعية والعقوبات...الخ. فأصبح القصر في مجتمع الواحات التنظيم الأساسي الذي يطلق عليه اسم تاقبيلت.[2]

---

1. عندما تتساقط الثلوج ويقل الكلأ في الأطلس الكبير ينتقل السكان إلى النجود الصحراوية لرعي مواشيهم. وعلى العكس عندما تشتد الحرارة يلتجأ سكان المناطق الواقعة جنوب جبال الأطلس إلى المراعي الجبلية الصيفية المسماة أكدال. وكمثال آيت عطا الذين يغادرون مواطنهم للاستفادة من المراعي الواقعة بمجال قبيلتي أحنصال وآيت محمد (تحريات ميدانية).
انظر كيوم، البربر المغاربة وتهدئة الأطلس المركزي (1912-1933)، ترجمة وتقديم محمد العروصي، بني ملال، ص.47.

2. cf. Mezzine, larbi, Le Tafilalt. Contribution à l'histoire du Maroc aux XVIIIè siècle, Rabat,1987, p.324

كما هو الحال في المجتمعات القبلية التي أفرزت مؤسسات تتماشى مع بنياتها الاقتصادية والاجتماعية وعلاقاتها سواء مع من يجاورها من قبائل أو مع المخزن، فقد كانت السلطة داخل القصر بيد الجماعة التي تنتخب على رأسها شيخا أو أمغار. وتتمثل مسؤولية أمغار في السهر على تسيير شؤون القصر وتطبيق الأعراف والاتصال برؤساء القصور الأخرى وممثلي المخزن. وفي فترة الأزمة يتسع هذا الدور ليصبح سياسيا بل عسكريا موزاة مع تفكك أجهزة الدولة على المستوى المحلي والجهوي. هذا التحول هو استرتيجية دورية تنبثق في كل أزمة للدفاع عن مصالح القصر وأحيانا التوسع على حساب القصور الأخرى، مما يؤدي إلى نزاعات مسلحة بين السكان. وفي حالة استمرار الأزمة تشتد الصراعات وغالبا ما تنهي بإفراز كيان سياسي يقر المعادلة السابقة[1].

1.عندما بويع مولاي الشريف بتافيلالت رفض بنو الزبير سكان قصر تابوعصامت سلطته. فطلبوا مساعدة الدلاء في حين استنجد مولاي الشريف بأبي حسون السملالي. إلا أن التحالفات لم تكن ثابثة إذ تغيرت حسب موازين القوى وانتهت في الأخير بتوحيد المغرب تحت سلطة العلويين.
انظر الزياني، الخبر عن أول دولة من دول الأشراف العلويين من أولاد مولانا الشريف بن علي، نشر وترجمة هوداس، باريس، 1886، ص.1-3.

كما أن التكتل الاجتماعي داخل القصور هو ناتج كذلك عن الظروف الاقتصادية. فقلة الماء والأرض يتطلبان توحيد السواعد لإنجاز الأعمال السقوية مثل حفر الخطارات وبناء السدود وحفر وصيانة السواقي، وكلها أعمال جبارة تحتاج إلى قوة بشرية لا يمكن أن توجد إلا بتجمع عدد من العائلات. إذا فالنظام الاجتماعي هو مجموعة من الوحدات الاجتماعية ذات علاقات تكاملية في فترات الاستقرار وتنافرية بين بعض المجموعات في فترات الأزمات.

نتيجة لهذا الوضع أصبح تمتين الروابط من السمات الأساسية للمجتمع، ويتم عن طريق مجموعة من الطقوس والعادات والعهود والمواثيق لإقامة تحالفات. ويمكن للتحالف المحلي أن يصبح تحالفا إقليميا. وهذه الظاهرة أساسية لفهم التكتلات في المجتمعات القبلية.[1] ولا يستبعد أن تكون انتفاضة

1.من بين النتائج المباشرة للأزمات السياسية الدورية ظهور أحلافا قبلية وانكماش أخرى مثل حلف آيت عطا وآيت يفلمان، وارتفاع وتيرة الهجرة مما يؤدي إلى تغيير الخارطة السكانية بل إفراز كيانات سياسية كما هو الحال في النصف الأول من القرن السابع عشر، حيث أدت الأزمة إلى ظهور مجموعة من الكياانات من بينها الزاوية الدلائية التي هي تعبير سياسي عن تحالف القبائل الصنهاجية بمنطقةالأطلس المتوسط.
حجي محمد، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الرباط، 1964.

مولاي الشريف دفاعا عن ساكنة قصور واد إفلي المهددة من طرف سكان قصري تابوعصامت والسفالات. وشكل النزاع بين سكان المنطقة بداية لاندلاع سلسلة من التحالفات مع الدلائيين والسملاليين.[1]

ب. انعكاسات أزمة النصف الأول من القرن السابع عشر

يعتمد مجتمع الواحات في نمط عيشه على الانتاج والتبادل. ويتكون الانتاج الفلاحي من القمح والشعير والتمور ومواد حيوانية كالجلود والأصواف. وأدى النقص في بعض المواد والفائض في مواد أخرى إلى ظهور تيارات تجارية بين الشمال والجنوب. وارتبط النشاط التجاري ارتباطا وثيقا بحاجيات المجموعات لمواذ التغذية والجلود والأصواف لتمويل الصناعات وسد النقص في المواد الغذائية. إذا فالعلاقة بين السكان والتجارة هي علاقة عضوية، الأمر الذي نجم عنه تعاطي السكان للتجارة مع الشمال، فاس ومراكش، ومع الجنوب،

2. الناصري، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الار البيضاء، 1956، ج. 7، ص. 15-18

السودان، واندلاع الصراع بين مختلف القوى للسيطرة على الطرق التجارية. وتتمثل التجارة أساسا في تصدير الأثواب والآواني الزجاجية والنحاسية لتلبية حاجيات البلاد السودانية مقابل الذهب والعاج، وتصدير هذه المواد الأخيرة زيادة على التمر والنيلة والحناء والأصواف والجلود للتجار الأوروبيين عبر الموانئ المغربية.

وعرفت المنطقة كذلك مبادلات تجارية بين سكان الواحات والمناطق المجاورة وخاصة منطقة الأطلس الكبير الشرقي. وكانت قبائل هذه المنطقة الجبلية تعتمد في نمط عيشها على الرعي والتبادل التجاري وخاصة مع سكان الواحات. وبما أن تربية الماشية تشكل المورد الرئيسي لسكان الجبال فقد كانوا يتنقلون بقطعانهم نحو النجود الصحراوية الأقل برودة في فصل الشتاء. كما أن سكان الجبال كانوا يقتنون مجموعة من المواد من منطقة الواحات.

مما لاشك فيه أن الأزمة الناجمة عن الصراعات أدت إلى تفكيك النظام الاقتصادي القائم على الرعي والتبادل وزادت من وتيرة الهجرة الجماعية وخاصة آيت عطا في اتجاه الواحات،

مما شكل تهديدا مباشرا للساكنة. وكرد فعل بايع سكان القصور مولاي الشريف.

ج.التراتب الاجتماعي

إذا كان التحليل الأفقي يظهر أهمية الوحدات الاجتماعية، فإن التحليل العمودي يبرز معطيات أخرى. فالمجتمع الواحي كان مكونا من أربع فئات متباينة، المرابطون والشرفاء والعوام والحراطين بالإضافة إلى عناصر هامشية، العبيد واليهود.

إلا أن الأغلبية تشكلها فئة العوام، وهم أفراد القبائل من عرب وبربر يملكون أغلبية الأرض ويستغلونها بتسخيرهم للقوة العملية للحراطين مقابل عقد يمنح بموجبه للحرطاني الخمس أو الربع حسب الاتفاق.

أما فئة الحراطين، فقد كانوا يقطنون المناطق الجنوبية منذ العصور القديمة، ويرى بعض المؤرخون أنهم ينحدرون من العبيد القادمين في فترة تاريخية قديمة وغير محددة من المناطق

الواقعة جنوب الصحراء أي ما يسمى بالسودان الغربي[1]. وللحراطين قصورهم الخاصة بهم ويتمتعون بوضعية أقل احتقارا من العبيد. وأثبتت دراسات أخرى أن الحراطين هم من بقايا السكان الأوائل، واستندت الأطروحة على اكتشافات أركيولوجية في منطقة زاكورة، وهي عبارة عن قلاع ترجع إلى ما قبل الإسلام.

ويحتل المرابطون والشرفاء أعلى الهرم الاجتماعي وكانت هذه الفئة تحظى باحترام السكان وتقوم بمجموعة من الأدوار، اجتماعية وتعليمية وتحكيمية، مما أهلها للقيام بأدوار سياسية في فترة الأزمة.

وقد أورد الإفراني في النزهة " كان أبو الأملاك المولى الشريف وجيها عند أهل سجلماسة وسائر المغرب يقصدونه في المهمات ويستشفعون به في الأزمات، ويهرعون إليه فيما جل وقل من الملمات"[2]

---

[1] Jacques-Meunié, Le Maroc saharien des origines à 1670, Paris 1982, T.1, p.129

[2] الافراني، محمد الصغير، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق عبد اللطيف الشادلي، الرباط، 1998، ص.243

د. الشرفاء العلويون: البيعة وتوحيد المغرب

-بيعة مولاي الشريف

يجمع المؤرخون على أن جد العلويين، الحسن بن القاسم هو من شرفاء ينبع في الحجاز. وصل إلى تافيلالت في عهد السلطان يعقوب المنصور المريني (1258-1286). ويعلل المؤرخون دخول الحسن بن القاسم إلى المغرب لضعف النسل الشريف بالمنطقة وتضرر النخيل. وتبرز هذه الرواية أهمية الشرف واعتقاد السكان في بركة الشرفاء. وإذا كان دور الشرف ثانويا إلى غاية القرن الخامس عشر، فقد لعب دورا تاريخيا هاما ابتداء من القرن السادس عشر. فالظاهرة هي عربية وأمازيغية، حضرية وقروية. وكان الناس يعتقدون في بركة الشرفاء لإنزال المطر وإشفاء المرضى، كما اعتقد الشرفاء في قدرة الشرفاء الآخرين، وغير الشريف أصبح يطمح إلى أن يكون شريفا[1]. فالشرف كان يحدد المكانة الاجتماعية للفرد. واعتبر الأوربيون الشرفاء أرستقراطية دينية غير منتجة وتعيش على

---

[1] حول التراتب الاجتماعي بالمغرب انظر:

Laroui, op. cit, p.12

حساب الجماعة. إلا أن الشرفاء كانوا يزاولون مختلف الأنشطة الاقتصادية من فلاحة وتجارة وحرف عكس رجال الدين في أوروبا.

وفيما بين القرنين الثالث عشر والسادس عشر، اكتسب العلويون مكانة اجتماعية متميزة لانحدارهم من آل البيت. ونظرا لأهمية تافيلالت الاستراتيجية والاقتصادية، فقد أصبحت مسرحا لمجموعة من الأحداث منذ سنة 1603، ومن بينها سيطرة أبي حسون السملالي واستقراره بالمنطقة إلى غاية سنة 1629. وخلال هذه السنة غادر تافيلالت للرجوع إلى سوس مما أدى إلى حدوث فراغ سياسي شجع الدلائيين على الزحف في اتجاه تافيلالت. ودفعت مختلف هذه التحركات سكان تافيلالت باستثناء بنو الزبير إلى مبايعة مولاي الشريف لإدارة شؤونهم والدفاع عن مصالحهم سنة 1631 م.

إلا أن هذه البيعة لم تكن عامة، فقد رفض بنوالزبير سكان قصر تابوعصامت سلطة مولاي الشريف. وتعدى الانقسام منطقة تافيلالت. وكان بين مولاي الشريف وأهل تابوعصامت عداوة تامة أدت إلى مواجهة مسلحة فاستصرخ

الشريف بأهل سوس واستصرخ أهل تابوعصامت بالدلائين[1] وفي هذا الإطار: هل كان رفض بنو الزبير بإيعاز من الدلائيين؟ ويظهر التدخل الدلائي بالمنطقة رغبتهم في التوسع للسيطرة على الواجهة الصحراوية والتحكم في الطرق التجارية، لأن إلى حدود هذا التاريخ لم تعرف تافيلالت سلطة سياسية حقيقية.

وفي نفس الوقت أظهر أبو حسون السملالي اهتماما متزايدا بالمنطقة، وأخذ في توسيع نفوذه نحو الشرق. ووصل إلى الواحات المتاخمة لجبال الأطلس التابعة للدلائيين مما دفع بسكان هذه المناطق إلى الاستنجاد بالدلائيين. فتحرك محمد الحاج الدلائي سنة 1631 لمنطقة ملوية العليا وكاتب أبا حسون للتراجع عن واحات جنوب الأطلس الكبير الشرقي. الأمر الذي شكل تهديدا لسكان منطقة تافيلالت ودفعهم إلى مبايعة مولاي الشريف سنة 1631. ويظهر جليا ومع مختلف هذه الأحداث أن البيعة ناتجة عن مجموعة من الأسباب:

-الفراغ السياسي.

---

[1] حول ظهور العلويين انظر:
الافراني، المصدر السابق، ص.423-426، الناصري، المصدر السابق، ص.13-16.

-الضغوط القبلية.

-تطلع الكيانات السياسية المجاورة للسيطرة على المنطقة.

-وجود عناصر لها تطلع سياسي وفي نفس الوقت تحظى باحترام سكان المنطقة.

انطلاقا من هذه الاعتبارات ارتبطت بيعة مولاي الشريف بمعارضة التدخل الدلائي بالمنطقة. وربط المؤرخ الزياني بطريقة واضحة بين بيعة مولاي الشريف ووصول الدلائيين إلى ملوية العليا. وتتفق المصادر على أن بيعة مولاي الشريف ورفض بنو الزبير هي السبب المباشر لتدخل الدلائيين والسملاليين في شؤون تافيلالت. فطلب المولى الشريف مساعدة أبي حسون بينما لجأ بنو الزبير إلى محمد الحاج الدلائي. وفي سنة 1633 التقى الجيشان دون إراقة للدماء، وأثناء اللقاء أظهر أبو حسون السملالي تفوقا عسكريا كبيرا.

أمام هذا الوضع الجديد انعدم التوازن بتافيلالت. ونظرا لقوة أبي حسون غير بنو الزبير تحالفهم وتقربوا من أبي حسون السملالي وعملوا على إفساد الجو بين هذا الأخير

ومولاي الشريف " إلى أن أظلم الجو بينهم واستحكمت القطيعة"[1]. وبعد مغادرة أبي حسون تافيلالت هاجم المولى محمد بن الشريف قصر تابوعصامت ونهب سكانه الأمر الذي أثار غضب أبي حسون، فقام بإلقاء القبض على مولاي الشريف الذي ظل حبيسا إلى غاية سنة 1640 م ولكنه تخلى عن السلطة لابنه المولى محمد. وتوفي المولى الشريف سنة 1651 م.

-المولى محمد بن الشريف (1636-1664).

أشارت المصادر التاريخية إلى أن المولى محمد بن الشريف كان يتمتع بالقوة والحيوية. وتمكن في السنوات الأولى من تكوين قوة عسكرية اعتمد عليها في مختلف تحركاته حيث حارب على جميع الواجهات. ففي سنة 1633 م هاجم قصر تابوعصامت وأخضع سكانه لسلطته، كما أخضع خلال سنة 1640 م منطقة درعة التي كانت خاضعة فيما قبل لأبي حسون السملالي. وخلال هذه السنة أعلن نفسه سلطانا على تافيلالت، فداع صيته في جميع أنحاء المغرب.

---

[1] الافراني، المصدر السابق، ص.423

وحاول السيطرة على المحور التقليدي سجلماسة-فاس لكنه اصطدم بمحمد الحاج الدلائي الذي كان في أوج قوته. فأحس الدلائيون بالتهديد الذي يمثله المولى محمد. فأخذوا المبادرة وهاجموا تافيلالت سنة 1646 م. فلجأ المولى محمد إلى الصحراء ولم يتمكن الدلائيون من القضاء عليه. وتوصل الطرفان المتنازعان إلى اتفاق تخلى بموجبه الدلائيون عن جميع الواجهة الصحراوية للأمير العلوي باستثناء خمسة أماكن محصنة تشرف على منطقة تافيلالت وتمر منها أهم الطرق التجارية المؤدية إلى داخل البلاد[1].

ولم تمضي فترة من الوقت حتى تم نقض الاتفاق من طرف المولى محمد، فاستولى على القصور الدلائية بل هب إلى نجدة سكان فاس البالي عندما أعلنوا الثورة ضد الدلائيين. إلا أن هذا النجاح المؤقت كان سابقا لأوانه. فاضطر المولى محمد

---

[1] " ثم انبرم الصلح بينهما على أن ما حازت الصحراء إلى جبل بني عياش فهو للمولى محمد، وما دون ذلك إلى ناحية الغرب فهو لأهل الدلاء، ثم استثنى أهل الدلاء خمسة مواضع أخرى كانت في ايالة المولى محمد فجعلوها لهم وهي: الشيخ مغفر في أولاد عيسى، والسيد الطيب في قصر السوق، وأحمد بن علي في قصر بني عثمان، وقصر حليمة في وطن غريس، وأسرير في فركلة، فهذه الأماكن الخمسة شرطوا على المولى محمد أن لا يحرك لهم منها ساكنا." الناصري، المصدر السابق، ص.17

للتخلي عن فاس والعودة إلى قاعدته أمام قوة الدلائيين. فاتجه نحو الشرق محاولا السيطرة على مركز حضري، وإيجاد منفذ على البحر. فغزا وجدة وتلمسان وتوغل في الأراضي التابعة للأتراك، إلا أن المولى محمد، لم تكن له القوة الكافية لمواجهة الأتراك. فرجع إلى تافيلالت، واعترف بتافنا حدا فاصلا بين المغرب والجزائر. ويعتبر هذا الاتفاق أول محاولة لترسيم الحدود بين المغرب والجزائر بمفهومها الخطي حيث جعلت واد تافنا حدا فاصلا بين الايالتين. وابتداء من هذا التاريخ، اكتفى بمنطقة تافيلالت وامتداداتها عبر الشمال والشرق بواسطة ملوية ودرعة، وإلى غاية وفاته قام ببعض الغزوات البسيطة. ويرجع الفضل إلى المولى رشيد في متابعة حركة العلويين والقضاء على المنافسين وتوحيد البلاد.

المولى رشيد (1664-1672)

بعد وفاة المولى الشريف غادر المولى رشيد سجلماسة للابتعاد عن مراقبة المولى محمد. فتنقل عبر أرجاء البلاد واطلع على الوضع السياسي المتسم بالانقسام والفوضى. ومن خلال معاينته لحالة البلاد المنهكة ظهر له إمكانية إخضاعها

وتوحيدها تحت سلطة مركزية على غرار سلطة السعديين. فأصبح الهدف واضحا إيجاد الوسائل الضرورية لإعادة بناء هذه السلطة وتجاوز الانقسام السياسي. فاتجه نحو تادلا والأطلس المتوسط لطلب المساعدة من الدلائين المستقرين بزاوية آيت إسحاق بدير الجبل، ولكنه فشل في الحصول على الدعم للصعوبات التي أصبحت تعاني منها الزاوية الدلائية والتنافس الحاد بين أبناء شيخ الزاوية وعدم رغبتهم في مواجهة مسلحة جديدة والاكتفاء بالوضع القائم. وما تنبغي الاشارة إليه تزامن هذه التحركات مع بداية فترة الجفاف وما كان لها من انعكاسات سلبية على الانتاج والسكان.

وبمساعدة إحدى الزوايا بمنطقة تازة وضع الأسس الأولى لتحركه السياسي والعسكري، فاستولى على دار بن مشعل في جبال بني يزناسن وصادر ممتلكات العائلات اليهودية. واتخذت هذه العملية في الكتابات التاريخية صورة تطهيرية ضد يهودي كان يضطهد ويستغل مسلمي منطقة تازة.

فقام المولى رشيد بشراء الأسلحة وتكوين جيش من القبائل العربية، الشراكة ودخل في صراع مع أخيه المولى محمد.

فالتقى الجيشان وقتل المولى محمد أثناء المناوشات الأولى فأصبحت جيوش هذا الأخير تحت إمرة المولى رشيد، فشرع في عملية توحيد البلاد سنة 1664 م.

وطد المولى رشيد سلطته بتافيلالت وسيطر على منطقة الريف، فأصبح يراقب الطريق التجاري عبر السهوب الشرقية، وأصبح بإمكانه مبادلة المواد السودانية والصحراوية بالأسلحة والذخيرة عبر الموانئ المتوسطية. وبمدينة الحسيمة على ساحل البحر الأبيض المتوسط ربط علاقة مع تاجر فرنسي من مدينة مارسيليا رولاند فريجيس Roland Frégus.

تابع المولى رشيد تحركاته العسكرية فأخضع خلال سنتي 1666 و1667 مدينتي فاس وتازة، وأصبح يتحكم في أهم محور تجاري يربط الشرق بالغرب عبر ممر تازة، ولم يتبقى له إلا القضاء على المنافسين، فحطم الزاوية الدلائية سنة 1668 م وأبعد محمد الحاج وأسرته إلى مدينة تلمسان، وفي السنة الموالية أخضع مراكش، وفي سنة 1670 م تمكن من السيطرة على إليغ، وأظهرت سرعة التحركات العسكرية مدى ضعف البلاد وعدم قدرتها على المقاومة.

ولتدعيم سلطته قام المولى رشيد ببناء قنطرة على واد سبو، فأصبحت فاس ترتبط أكثر بالشمال والجنوب قاعدة انطلاق المولى رشيد، كما أقر بضواحي فاس التي اختارها عاصمة له، القبائل العربية الشرقية، قبائل الشراكة وبني لهم بالمنطقة الشمالية الغربية لمدينة فاس، قصبة الشراردة.

ولاستمالة سكان فاس وخاصة العلماء، قام ببناء مدرسة جديدة برأس الشراطين. وعند وفاته، ورغم سرعة الفتوحات، ترك المولى رشيد لخلفه المولى إسماعيل بلدا موحدا من الناحية السياسية.

2.المولى إسماعيل (1672-1727)

أ. شخصية المولى اسماعيل

اتخذ المولى إسماعيل في مختلف الكتابات، سواء المغربية أو الأجنبية صورة أسطورية. ومع مرور الوقت تم تضخيم بعض الصفاة الشخصية للسلطان، وإذا انحصرنا في هذا

المنظور، يمكن القول أن المولى إسماعيل كان يتمتع بجميع صفاة الشخصيات الأسطورية التي تتجاوز حدود المعقول. ولصلابته وقوته عينه المولى رشيد خليفة له على المنطقة الشمالية من المغرب حيث اتخذ مكناس مقرا له.

وعند توليته السلطة يوم 16 أبريل سنة 1672، كان عمر المولى إسماعيل 26 سنة أي أنه ازداد حوالي سنة 1646. ودام حكمه خمسة وخمسين عاما أي أطول مدة حكم في العالم الاسلامي.

كان المولى إسماعيل قوي الشخصية مما أدى إلى تعدد الأوصاف في مختلف المصادر سواء المغربية أو الأجنبية. كما تم تضخيم أعماله وصفاته. حيث تم وصفه بالاستبداد وانعدام الشفقة أثناء العقاب وكثرة الحريم. وذكرت بعض الكتابات أن عدد نساء الحريم وصل إلى 2000 أنجب منهم 700 طفل وعدد غير معروف من البنات[1]. أوصاف أسطورية لتمتيع القارئ الأوروبي للرحلات، الفن الأدبي المنتشر في أوروبا، بصورة

[1] Cf. Nékrouf Younes, Une amitié orageuse. Moulay Ismail et Louis XIV, Paris, 1987.

مخالفة للمعتاد كالصور المستوحاة من الأساطير اليونانية القديمة.

أثناء نشره لرسائل المولى إسماعيل أكد محمد الفاسي على عدم صحة ماورد في هذه الكتابات. فهي غالبا صادرة عن أسرى أوروبيين تم تحريرهم. وبالعودة إلى بلدانهم شرع كل واحد منهم في تضخيم ما عاناه في "مطامير" المغرب أثناء سجنه[1]. وللإشارة فإن هذه الكتابات والتي تم اعتمادها من طرف مؤرخي الفترة الاستعمارية كانت تكتب تحت إشراف رجال الكنيسة حسب نسق محدد المعالم.

وكان للمولى إسماعيل رغبة قوية في ترسيخ سلطة المخزن بجميع جهات المغرب وتدعيمها وإيجاد الحلول لمختلف المشاكل سواء العسكرية أو المالية أو القبلية. ومن هنا تعتبر فترة حكم المولى اسماعيل تجربة إصلاحية في التاريخ الحديث للمغرب لتجاوز مشاكل الجهاز المخزني المتمثلة أساسا في تقوية مؤسسات الدولة وإيجاد الموارد المالية لتسييرها.

---

[1] El Fasi, Mohamed, Biographie de Moulay Ismael, Hespéris-Tamuda,1962, p. 5 sq

وكان يردد دائما " إذا منحنى الله حكم المملكة، فلا أحد ينتزعه مني "[1]. ولتدعيم شرعيته السياسية والدينية اتخذ المولى إسماعيل لقب أمير المؤمنين. واعترف الفرنسي مويت Mouette ، الذي كان سجينا بالمغرب من سنة 1670 إلى سنة 1681 بمجموعة من الخصال الحميدة للمولى إسماعيل رغم كراهية له.

في ظل الأوضاع التي كان يعرفها المغرب خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر لم تكن مهمة المولى إسماعيل سهلة. وحسب المؤرخ الزياني قضى السلطان 24 سنة في محاربة الثائرين وتهدئة البلاد، وحسب نفس المصدر لم يستقر السلطان سنة واحدة دون انقطاع في قصره[2]. ويعود الفضل للمولى إسماعيل في استكمال فتوحات المولى رشيد وتدعيم سلطة المخزن. فرسخ دعائم الدولة عن طريق تحمل جميع المسؤوليات وتركيز جميع السلط، وفيما بين 1672 و 1701 تدخل المولى إسماعيل عسكريا بمختلف المناطق، فانتشر الأمن

---

[1] Ibid., p.52

[2] الزياني، المصدر السابق، ص.27

في البلاد، لدرجة أن اليهودي أو المرأة يمكنها أن تتنقل بأمان عبر جميع التراب المغربي[1].

أ. التنظيم والتجربة الاصلاحية

منذ تدهور السلطة الوطاسية عرف المغرب تجربتين إصلاحيتين لتجاوز الصعوبات الناجمة عن التدهور الشامل للسلطة وللاحتلال الأجنبي للسواحل المغربية: تجربة أحمد المنصور الذهبي وتجربة المولى إسماعيل. فالأول عمل على توحيد البلاد بعد الانتصار في معركة وادي المخازن بالاعتماد على جيش على غرار جيش الانكشارية التركي وسن سياسة ضريبية وفتح السودان لإعادة توجيه التجارة القفلية نحو المغرب والتفاهم مع الزوايا المنتشرة في جميع مناطق المغرب والمؤطرة للقبائل لضمان اعتراف هذه الأخيرة بسلطة المخزن. وبفضل هذه السياسة تمكن أحمد المنصور الذهبي من تقوية الدولة وتمويل بيت المال. بل إن المغرب اعتبر من طرف عدد

---

[1] " واعتكف السلطان على بناء قصوره وغرس البساتين والبلاد في أمن وعافية يخرج الذمي والمرأة من وجدة إلى واد نون ولا يجدان من يسألهما من أين وغلى أين، والرخاء المفرط، لا قيمة للزرع ولا للادام ولا للماشية. ولم يبق بأرض المغرب سارق ولا قاطع طريق". الزياني، المصدر السابق، ص.28

كبير من دول البحر الأبيض المتوسط من الدول الغنية. أما المولى اسماعيل فقد استعمل وسائل مختلفة لتحقيق نفس الأهدف.

لم يكن لهذه السلطة أن تستمر لولى الوسائل المعتمدة من طرف المولى إسماعيل، فلإخضاع البلاد وتقوية المخزن، لجأ المولى إسماعيل إلى تكوين جيش احترافي ودائم، ولم تكن الفكرة جديدة فقد سبقه إلى هذا الحل أحمد المنصور الذهبي، والاثنان لم يكونا إلا مقلدين للنظام العسكري التركي: جيش الانكشارية. فعوض المسيحيين المرتدين، جند المولى إسماعيل السود لتكوين جيش دائم قادر على تدعيم سلطة المخزن، وفي إحدى الرسائل كتب المولى إسماعيل إلى العالم محمد عبد القادر الفاسي " فإنه لا يخفي على كريم علمكم ولا يغرب عن ثاقب فهمكم ما أقامنا الله فيه وطوقنا من حمل أعباء الخلافة ... وقد علمتم حفظكم الله أن هذا الأمر لابد له من ناموس يحفظه ويكون له عونا وحصنا وهو اتخاذ الجند الذي هو عدة الله في أرضه وبه حماية بيضة هذه الأمة به تشحن ثغورها وتأمن

ويرتدع غاويها. ولا يخفاكم أهل المغرب وما كانوا عليه من تناسي الخلافة وتقلص ظل المملكة"[1].

ويظهر من خلال هذه الرسالة أن التوتر بين المخزن والقبائل والرغبة في تقوية المخزن لإحكام السيطرة على البلاد هي من بين الأسباب التي دفعت المولى إسماعيل إلى تكوين جيش دائم من عناصر طارئة: العبيد والأوربيون. ففي مرحلة أولى جمع المولى إسماعيل 3000 عبدا كانوا قد شكلوا جزئا من جيش أحمد المنصور الذهبي، وبعد هذا شرع في تجميع جميع العبيد الموجودين بالمغرب رغم معارضة أغلبية الفقهاء[2]. وحسب الزياني، وصل عدد الجنود في نهاية عهد المولى إسماعيل إلى 150 ألف جندي، وكان العبيد يؤدون اليمين على صحيح البخاري، ومن هنا تسميتهم بعبيد البخاري[3].

خضع العبيد لتدريب عسكري صارم جعلهم قوة عسكرية ضاربة مكنت المولى إسماعيل من تقوية سلطته، وإخضاع البلاد وجلب الضرائب وتحرير بعض الثغور المحتلة.

---

[1] El fasi, M., op. cit, p. 48

[2] الزياني، المصدر السابق، ص.15

[3] نفسه، ص.17

إلا أن هذا الجيش أصبح يكون عصبية جديدة انضافت إلى العصبيات القديمة.

وإذا كان العبيد يشكلون النسبة الأكثر من الجيش، فقد اعتمد المولى إسماعيل على قبائل الكيش، فقد تم إدماج الودايا، عرب معقل، وتقسيمهم إلى فرقتين، فرقة أقرها بفاس والثانية بمكناس، أما قبيلة الزرارة فقد تم إقرارها بوجدة لمراقبة تحركات الأتراك، وتم توطين آيت إيمور بتادلا لمراقبة ومواجهة قبائل الأطلس المتوسط . أما الأوربيون المجندون فلم يتعدى عددهم 1500 جندي[1].

وتم إبعاد غالبية السكان من الوظائف العسكرية ونزعت منهم الأسلحة والخيول: " فالسكان لم يكن عندهم أي سلاح غير السكاكين والقانون يعاقب كل من يملك السلاح "تورد إحدى الوثائق الفرنسية.

وبهذه السياسة غير المولى إسماعيل المعادلة السابقة بين المخزن والسكان وأحكم قبضته على البلاد. وقام بفرض

---

[1]في دراستها قدرت مورسي ماكالي عدد العبيد بين 50 و70 الف.
Morsy Magalli,la relation de Thomas Pellow. Une lecture du Maroc au 18è siècle,Paris, 1983, p.37-38

نظام ضرائبي جديد. فالضرائب الشرعية أي الزكواة والأعشار أصبحت غير كافية للإنفاق على جيش احترافي وضخم. وموازاة مع ارتفاع عدد الجنود ارتفعت قيمة الضرائب.

إلا أن علامات الضعف بدأت تظهر في الوقت الذي وصل فيه حكم المولى إسماعيل إلى أوجه. وأظهرت بعض الأحداث عدم انضباط الجيش، ففي سنة 1700 م قام عبد الخالق الروسي بقتل أحد العبيد لأنه دخل منزله بدون إذن، وفي سنة 1714 قام المولى إسماعيل بإعدام القائد أبو دشيش وثلاثة قواد آخرين وسبعة عشرة عبدا لسوء تصرفاتهم[1].

ج.السياسة القبلية والدينية

واجه المولى إسماعيل مباشرة بعد توليه السلطة سنة 1672 مجموعة من حركات التمرد والثورات، وأول هذه الثورات، ثورة ابن أخيه أحمد بن محرز والتي استمرت زهاء 14 سنة تخللتها فترات صراع وفترات صلح وهدنة. وكان أحمد ابن محرز كثير الحركة. يحتل مراكش عند يتواجد السلطان بالشمال ويجتاز جبال الأطلس ملتجأ إلى الصحراء عند عودة

[1] الزياني، المصدر السابق، ص.27

السلطان للجنوب. واستقر أحمد بن محرز فترة من الزمن في تارودانت، واضطر المولى إسماعيل إلى الاعتراف به مؤقتا، وتم اغتيال أحمد ابن محرز في ظروف غامضة بمنطقة الأطلس الصغير[1].

وأظهرت ثورة فاس هشاشة فتوحات المولى رشيد. فقد رفض سكان المدينة المساهمة بالمال والرجال للمشاركة في حملة عسكرية للمناطق الجنوبية. فثار سكان المدينة في وقت ظهر أن البلاد سائرة من جديد في طريق التمزق السياسي[2]. ففي المنطقة الشمالية رجع الخضر غيلان وعائلته آل النقسيس التي استقرت بتطوان. واتصل سكان فاس بغيلان لتزعم ثورتهم ضد المولى إسماعيل. ولكن المولى إسماعيل تحرك بسرعة، فقضى على غيلان ودخل مدينة فاس وعفى عن سكانها، كما استمال العائلات الإدريسية الشريفة.

ونظم حملة عسكرية ضد منطقة الريف وأخضعها لسلطته بما فيها مدينة تطوان مقر عائلة آل النقسيس التي تم القضاء عليها نهائيا.

---

[1] الناصري، المصدر السابق، ص.63-64

[2] نفسه، ص.47

وحسب الزياني قضى المولى إسماعيل 24 سنة في إخماد الثورات وتطويع المجموعة الصنهاجية التي كانت تقودها الزاوية الدلائية. وإذا كان الطابع العسكري هو الغالب، فالمولى إسماعيل لم يهمل الطرق السلمية.

وفهم أن سر النجاح يكمن في التأني واستعمال وسائل مختلفة سياسية وعسكرية. واختيار مكناس كعاصمة تظهر رغبة المولى إسماعيل في مواجهة المجموعة الصنهاجية وإيقاف زحف القبائل الجبلية نحو السهول الأطلسية. وفي هذا الإطار ولنفس الهدف لجأ المولى إسماعيل إلى توطين قبائل الكيش في تادلا وسايس، وبناء حزام من القصبات لمراقبة تحركات القبائل، ووزعت الجيوش على القصبات للحفاظ على الأمن والنظام.

وعرف النزاع ين المخزن والقبائل عدة مراحل ففي سنة 1674م ثارت القبائل الصنهاجية ورفضت أداء الضرائب وقتلت ممثلي المخزن، ولم يتمكن المولى إسماعيل بعد مناوشات عديدة إلا هزم جزء من الثوار. وفي سنة 1677م، اجتمعت القبائل الصنهاجية حول الأمير الدلائي أحمد بن عبد الله المساند من طرف الأتراك، فهاجمت القبائل الصنهاجية، القبائل العربية

في تادلا وسايس. وفي نفس الوقت تمت إعادة بناء الزاوية الدلائية. وبعد فشل ثلاثة حملات عسكرية متتالية، ترأس المولى إسماعيل حملة عسكرية ضخمة فتمكن من القضاء على الثورة[1]. فاستقر لبعض الوقت في ملوية العليا لتنظيم الجهاز المخزني المحلي، إلا أن القبائل الصنهاجية ثارت من جديد بمكان آخر بزعامة قبائل آيت عطا بالواجهة الجبلية الجنوبية. وكان آيت عطا يذكون النزاع بين العلويين أنفسهم مستغلين التنافس بين أفراد الأسرة. زحف المولى إسماعيل ضد آيت عطا فسيطر على فركلة وغريس وتدغة، وجرت معركة حاسمة سنة 1679م. فقد فيها السلطان قيادة جيوشه، وفي طريق العودة فوجئ الجيش بعاصفة ثلجية في ممر تلوين. ومنذ هذا التاريخ لم يهتم المولى إسماعيل بقبائل آيت عطا، الذين استقروا بدادس ودرعة، وبعض الواحات على حساب بعض القبائل الجنوبية التي هاجرت في اتجاه الشمال عبر ممرات الأطلس.

بل إن آيت عطا نفسها بدأت في الهجرة نحو الشمال ولكنها اصطدمت بقبائل صنهاجية أخرى. وهذه الصراعات

---

[1] حول المواجهات بين المولى اسماعيل والبربر انظر:
الناصري، المصدر السابق، ص.53 ، ص. 66، ص.68-69، ص.78

الداخلية كانت فرصة للمخزن لاستغلال التناقضات وتوظيفها لصالحه. كما استغل المخزن حلف آيت يفلمان الذي كان في طور التوسع.

ويظهر بأن أهم مجموعة قبلية كانت تتشكل من قبائل جبل صاغرو وقبائل الأطلس المتوسط. ولإخضاع هذه المجموعة نظم المولى إسماعيل مجموعة من الحملات العسكرية وبنى مجموعة من القصبات بأزرو وعين اللوح وسكورة وميدلت وقصبة تادلة. ووجهت ضربة قاضية لهذه القبائل في سنتي 1692-1693.

حيث هيأ المولى إسماعيل حملة عسكرية بعناية دقيقة ووزعت المهام بين الجنود وتم تقسيمهم إلى ثلاثة فرق. وتمكن المولى إسماعيل من تحقيق انتصار ساحق، فتم تعيين القواد والأجهزة المخزنية، فانتصر المخزن على القبائل بصفة نهائية.

واهتم المولى إسماعيل كذلك بمشكل المرابطين والشرفاء، فأضعف الطموح السياسي للمرابطين ونظم أطماع العائلات الشريفة وربطها بالمخزن.

وفي الوقت الذي أرغم المولى رشيد الدلائيين على اللجوء إلى تلمسان، تأسست زاوية بتامكروت من طرف علي بن ناصر، وحلت محل الزاوية الدلائية وأجبر المولى رشيد مؤسس الزاوية على الإقامة بمراكش.

وفي عهد المولى إسماعيل حصل تفاهم بين مؤسس الزاوية الناصرية والسلطان، مادامت الزاوية لا تتجاوز الاختصاصات الدينية. واستغل الناصريون هذه العلاقة لتوسيع نفوذهم، بالشمال ومنطقة تادلا حيث أصبحت الزاوية الشرقاوية تابعة للزاوية الناصرية وكذلك الشأن بالنسبة لزاوية إمهواش والتي لعبت دورا أساسيا في عهد المولى سليمان.

وعلى عكس هذا الموقف المتسامح، كان المولى إسماعيل أكثر صرامة اتجاه الزاوية الحنصالية بمنطقة الأطلس الكبير والتي شمل نفوذها قبيلتي آيت بوكماز واحنصال.

وقد قام المولى عبد الله باغتيال " شيخ الزاوية سيدي يوسف وتبنى المولى إسماعيل نفس الموقف اتجاه زاوية تسافت جنوب مراكش.

إلا أن موقف المخزن كان مختلفا اتجاه الزوايا الأخرى وخاصة الزوايا الشريفة التي ظهرت في عهد المولى رشيد: الزاوية الدرقاوية والزاوية الوزانية.

فالزاوية الدرقاوية تأسست من طرف مولاي علي الدرقاوي المزداد سنة 1641 في قبيلة بني زروال شمال المغرب.

أما الزاوية الثانية، فتم تأسيسها من طرف الشريف مولاي عبد الله بن إبراهيم. إلا أن هاتين الزاويتين لم يصبح لهما إشعاع إلا في القرن الموالي أي القرن التاسع عشر.

وكان الغرض من تشجيع هاته الزوايا هو إضعاف الزوايا الأخرى. وفي نفس السياق قام المولى إسماعيل بتوسيع وإصلاح ضريح المولى إدريس بفاس.

وبما أن الزاوية الوزانية استقرت بجبال الريف قرب ضريح المولى عبد السلام بن مشيش، فقد أطرت قبائل الريف وتمكنت بسرعة من القيام بوظائفها. وتجاوز دورها المغرب حيث ظهر فرع لها بالجزائر تحت اسم الزاوية الطيبية نسبة إلى المولى الطيب. مما أتاح للمخزن الفرصة لخلق بعض العراقيل للسلطة التركية بالجزائر.

لإضعاف قوة المرابطين والزوايا تبنى المخزن وظيفة الجهاد. فترأس المولى إسماعيل بنفسه حرب تحرير المناطق المحتلة. فطرد الإنجليز من طنجة والإسبان من العرائش والمعمورة.

وبهذه السياسة الإديولوجية والعسكرية غير المولى إسماعيل المعادلة السابقة وأرسى وبصفة نهائية الدولة العلوية بالمغرب، وضمن لها نفوذا سياسيا ودينيا لم يعرف فيما بعد إلا بعض المعارضات المؤقتة.

ح. مواطن الضعف

بلغ عهد المولى إسماعيل أوجه في أواخر القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر، وفي نفس الوقت ظهرت علامات ضعف المخزن، والتي أدت بعد وفاة السلطان إلى فوضى دامت ثلاثين سنة. ويرجع هذا إلى طبيعة المشاكل المرتبطة بالنظام، ويمكن تلخيصها في ثلاثة: مشكل الجيش ومشكل الضرائب ومشكل الوراثة.

لحل مشكل الجيش، لجأ المولى إسماعيل إلى تكوين جيش نظامي على غرار جيش الانكشارية التركي. وإذا أدى هذا

الجيش خدمات مهمة لمؤسسة، إلا أنه سرعان ما ظهر كقوة تفكك جديدة انضافت إلى عوامل التفكك القديمة، وظهر هذا جليا بعد وفاة المولى إسماعيل سنة 1727م. وأظهرت بعض الحوادث الأهمية الخطيرة التي أصبحت لعبيد البخاري في تسيير أمور الدولة، فدورهم العسكري جعل منهم حتما قوة سياسية واجتماعية اعتمد عليها السلطان بكل أمان ما دام هو الحاكم. وهذه الوضعية لم ترضي القوى السياسية والاجتماعية الأخرى.

فعلماء فاس رفضوا الموافقة على إقرار العبيد في ديوان الجيش لكون أغلبتيهم إنما أجبرت على الدخول في الجيش ولم تشترى بطريقة شرعية. وكان من شأن هذا الموقف أن يهدم الأساس العسكري للمخزن. مما أدى إلى غضب السلطان الذي أمر بقتل الفقيه محمد بن عبد السلام جسوس بعد صراع إديولوجي عنيف بين الفقهاء والمخزن. إلا أن هذه الضجة التي أحدثها تدوين الأحرار في سجلات الجيش نتج عنها على الأقل التمييز بين العبيد والأحرار والحراطين.

وكيفما كان الأمر، تزايدت أعداد العبيد أيام المولى إسماعيل إلى أن وصل عددهم حسب الزياني إلى 150 ألف جندي. فتصاعدت قوتهم السياسية الأمر الذي جعل المؤرخ الزياني يشبه تصرفاتهم بتصرفات الأتراك على عهد العباسيين.

أما مشكل الضرائب فقد كان أكثر خطورة، لقد أصبحت الضرائب الشرعية الزكوات والأعشار غير كافية لما تعلق الأمر بأداء نفقات جيش دائم وإدارة مركزية. فكان إذا من الضروري اللجوء إلى ضرائب أخرى ويمكن القول أن العديد من الحركات المخزنية كان الهدف منها إجبار القبائل على تأدية الضرائب. وأمام ارتفاع قيمة الجبايات، فضل بعض أثرياء المدن وخاصة من فاس هجرة المدينة واللجوء إلى تلمسان والشرق مما أجبر السلطان على إسقاط بعض الواجبات والمكوس سنة 1718م[1].

ونظرا للمشاكل الناجمة عن إحداث المكس لجأ السلطان إلى وسائل أخرى حتى يضمن للدولة مداخيل عادية، فقام باحتكار التجارة مع الأوربيين عن طريق وسطاء غير

---

[1] الزياني، المصدر السابق، ص.35

مسلمين وغالبا يهود. ومن بين هؤلاء اليهودي ميموران الذي كلفه السلطان بجميع العلاقات التجارية مع الخارج. مما زاد من تدمر الناس وهيأ الأسباب لانفجار الوضع. وما دام السلطان على قيد الحياة، فقد كان يظهر قدرا من القوة لإفشال جميع المحاولات. ولكن بعد وفاة السلطان دخلت البلاد في مرحلة من الفوضى استمرت ثلاثين سنة.

أما فيما يتعلق بمشكل الوراثة، فقد كان هو الآخر لا يجد حلا إلا بواسطة القوة. فنظام الحكم كان نظاما عائليا. وكان السلاطين يعينون الأمراء ولاة على الأقاليم. وكان الأمراء-الولاة يكونون مخزنا مصغرا على شاكلة المخزن المركزي: جيش، كتاب، مستشارين، قضاة، علماء...الخ. مما ينمي طموحاتهم وتطلعاتهم للحكم. كما أن التنافس يرتبط كذلك بتعدد الزوجات ومؤامرات رجال البلاط وحاشيات الأمراء وقواد المخزن. مما يجعل الوضع قابلا للانفجار بمجرد وفاة السلطان خاصة وأن لكل أمير قوة تمكنه من مواجهة باقي إخوته لانتزاع الحكم.

وإذا كان الأمراء يستمدون شرعيتهم في البداية من عقد البيعة، فإن هذه الشرعية تصبح موضع طعن عندما تنتشر الفوضى وينعدم الأمن ويعجز الأمير المبايع عن الدفاع عن البلاد ضد الخطر الخارجي وحماية المصالح الدينية والدنيوية للسكان.

ومنذ توليه السلطة دخل المولى إسماعيل في صراع مع منافسيه، وما إن أرسى السلم بالبلاد حتى كان عليه مواجهة أطماع أبنائه. وازداد المشكل تعقيدا للطابع العائلي للسلطة. فمنذ سنة 1700 قام المولى إسماعيل بتعيين أبناءه عمالا على الأقاليم، فعين الأمير أحمد عاملا على تادلا وبنى له قصبة وكلفه بمراقبة قبائل الأطلس المتوسط، وعين المولى محمد العالم على سوس والمامون على منطقة تافيلالت والمولى زيدان على المغرب الشرقي[1]. وظن السلطان أن هذه السياسة ستضع حدا لتمرد القبائل، ولكن العكس هو الذي حصل. فمباشرة بعد التوزيع اضطر السلطان لمواجهة ثورات أبناءه خاصة ثورة محمد العالم بالجنوب. وفي سنة 1718م عدل عن هذه

---

[1] الناصري، المصدر السابق، ص.89

السياسة، فنزع من أبناءه العمالات ولم يبق إلا على أحمد على تادلا بل عين في نفس الوقت وليا للعهد[1]. على أن مشكل الخلافة لم ينتهي بهذا التعيين بل عرف تعقيدا مع وفاة السلطان سنة 1727م.

د.العلاقات مع الخارج.

-التجارة القفلية

في بداية القرن السابع عشر انخفضت واردات الذهب بشكل خطير. فقبل سنة 1603 م كانت قافلة سنوية تقدم إلى مراكش محملة بالذهب. أما في الربع الأول من القرن السابع عشر فقد كانت قافلة واحدة تغادر مراكش لجلب المستفاد من الضرائب على رأس كل ثلاث سنوات. أما حظوظها للوصول إلى المغرب فقد كانت جد ضئيلة لانتشار الفوضى وانعدام الأمن[2]. وحسب المصادر المغربية بعث السلطان السعدي أبا فارس

---

[1] نفسه، ص.90

[2] Brignon et ses collaborateurs, Histoire du Maroc, p.221

هدية إلى السلطان التركي قيمتها 300000 مثقال ذهبي، وهي بدون شك من المخزون المعدني السابق كما أن السلطان المولى زيدان بعث بهدية مماثلة للسلطان العثماني لمساعدته في صراعه ضد إخوته[1]. وسك كل من أبي محلي وأبو حسون السملالي عملة ذهبية[2].

إلى أن السمة البارزة خلال هذه الفترة هي انخفاض واردات الذهب، وهذا ما دفع الوليد (1631-1636) إلى منع تصدير الذهب. وكانت الكمية القليلة التي تصل إلى المغرب تنتهي إلى مملكة تازروالت. ولكن أغلب البضائع السودانية أصبحت تتخذ طريقين: طريق شرقية تنتهي إلى الموانئ المتوسطية وطريق غربية تنتهي إلى المراكز الموجودة بالشاطئ الافريقي والتي استقر بها التجار الفرنسيون والانجليز والهولنديون.

بعدما نجح المولى رشيد في السيطرة على فاس والدلاء ومراكش وإليغ، تمكن من مراقبة التجارة القفلية، بل إن المولى

---

[1] انظر تفاصيل الصراع بين أبناء أحمد المنصور الذهبي:
الناصري، المصدر السابق، ج.6، ص. 3 تابع

[2] Jacques Meunié, op. cit., T.2, p.634-635

رشيد اهتم بحماية هذه التجارة عن طريق التحالف مع القبائل المعقلة.

أما المولى إسماعيل، ففي الوقت الذي كان فيه الفرنسيون والهولنديون في صراع من أجل امتلاك جزيرة أركين Arguin سنة 1678م سعى إلى إرساء سلطته بموريطانيا فساند أمير قبيلة الترارزة وأمده بالأسلحة لمهاجمة الضفة اليسرى لنهر السنغال وقلعة سان جوزيف st Joseph. كما أقام عاملا مغربيا بشنقيط. ولتمتين الروابط مع السودان، وجه نشاط الزاوية القادرية بآقا نحو هذه المناطق، فأسست عددا من المراكز التابعة لها بالسمارة وموريطانيا وأصبحت العملة والموازين المستعملة مغربية.

رغم الحروب بين دولتي بومبارا وسيكو في منطقة السودان الغربي استمر الرواج التجاري بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء وخاصة عبر الطريق المريطانية التي ظهرت بها مراكز جديدة كالمبروك. وأصبح لهذه الطريق أهمية كبرى لقربها من ملاحة تغازى التي كان ملحها يفرض نفسه كعملة في التبادل التجاري مع القبائل الإفريقية.

ولضمان مداخيل قارة، قام المولى إسماعيل بتنظيم المنطقة إداريا عن طريق تعيين مجموعة من الولاة في كل من تغازى وتوات وموريطانيا، وكانوا يجلبون المستفاذ من الضرائب.

- العلاقات مع أوروبا

أما فيما يتعلق بالعلاقات مع أوربا، فمن الصعب التمييز بين التجارة البحرية والعلاقات الدبلوماسية. وإذا تمكن المولى إسماعيل من تحرير الثغور الأطلسية: طنجة والمعمورة والعرائش[1]، فقد فشل في تحرير المدن المتوسطية المحتلة، سبتة ومليلية لثلاثة أسباب رئيسية القرب من إسبانيا، والموقع الجغرافي لهذه المدن وأخيرا الحاجز الريفي.

أما فيما يتعلق بالأتراك والذين تدخلوا مرات عديدة في شؤون المغرب على عهد الدولة السعدية، فمنذ السنوات الأولى لتولية المولى إسماعيل، ساند الأتراك أحمد بن محرز والخضر غيلان والأمير أحمد الدلائي. وكرد فعل نظم السلطان

---

[1] الناصري، المصدر السابق، ج.7، ص.63، 67، 73

حملات عسكرية في منطقة وهران. وغالبا ما ينتهي النزاع بعقد صلح، واعتبار واد تافنا حدا فاصلا بين الدولتين[1].

وتحددت العلاقات مع كل من انجلترا وفرنسا حسب مشكلين رئيسيتين

-الأسرى.

-التجارة.

فرغم الاختفاء التدريجي للأسرى، فقد قدر عددهم حوالي سنة 1727 بـ 700 أسير، وإلى حدود سنة 1678 كان الأسرى ملكا للقراصنة السلاويين. ولكن بعد هذا التاريخ أصبحوا ملكا للمخزن، فانتقلت ظاهرة الأسرى من ظاهرة تجارية إلى ظاهرة سياسية وعنصرا أساسيا في العلاقات الدبلوماسية. ولم يعد تحريرهم يقتصر على البعثات الدينية بل على المفاوضات وتبادل السفارات مثل سفارة سانت أولون

[1] منذ سيطرة الأتراك على الجزائر حاولوا بسط سيطرتهم على المغرب، ولكن السعديون والعلويون أفشلوا محاولات الأتراك. حول الصراع بين السعديين والعلويين انظر دراسة:

A. Cour, L'établissement des dynasties des chérifs et leurs rivalité avec les turcs de la régence d'Alger (1509-1830), Paris, 1904.

Saint Olon بمكناس سنة 1693 وسفارة بن عائشة بفرساي سنة 1699. وكانت المفاوضات صعبة مع فرنسا لكثرة الأسرى المحجوزين من كلتا الدولتين. فلويس الرابع عشر رفض التبادل الإجمالي للأسرى، وكان يرغب في تبادل أسير بأسير الأمر الذي رفضه المولى إسماعيل. ورغم تعثر المفاوضات مع فرنسا، تمكن أحد رجال الدين الإسبان دييكو Diégo من كسب صداقة المولى إسماعيل وتحرير أكثر من 600 أسير أوربي بين سنة 1688 و1723.

أما فيما يتعلق بالتبادل التجاري، ففي الوقت الذي ازدهرت فيه العلاقات التجارية بين المغرب وهولندا في النصف الأول من القرن السابع عشر، تدهورت العلاقات مع فرنسا رغم أن مارسيليا ظلت تحافظ على بعض العلاقات التجارية مع المغرب.

فقد حاول المولى رشيد تطوير العلاقات مع فرنسا حيث بعث رسالة إلى لويس الرابع عشر، تمنح للفرنسيين حرية التبادل مع المغرب. وسعى الملك الفرنسي إلى تطوير هذه العلاقة. فأرسل عدة سفارات إلى المغرب في عهد المولى

إسماعيل. إلا أن أهداف المغرب كانت مختلفة عن أهداف فرنسا. فالمولى إسماعيل كان يرغب في الحفاظ على القرصنة، وتحرير كلي للأسرى المغاربة والمعاملة على قدم المساواة مع الامبراطور التركي. بينما سعى لويس الرابع عشر إلى تنمية المبادلات التجارية دون إطلاق سراح جميع الأسرى وعدم إغضاب السلطان التركي. وفي تعارض الأهداف، يكمن سبب فشل العديد من السفارات بين المغرب وفرنسا: سفارة الحاج محمد تميم إلى باريس سنة 1682 وسان آمون **Saint Amons** إلى إيمين تانوت في نفس السنة، وسفارة سان أولون **Saint-Olon** وبن عائشة إلى باريس. فغادر القناصلة الفرنسيون المغرب بين سنتي 1710 و 1712. كما غادر التجار الفرنسيون الموانئ. وقطعت فرنسا وإسبانيا علاقتهما مع المغرب سنة 1718م ولمدة نصف قرن. فالملك الاسباني فليب الخامس كان حفيدا للويس الرابع عشر وتجمعهما مصالح مشتركة[1].

واستغل البريطانيون تدهور العلاقات المغربية الفرنسية للرفع من حجم مبادلاتهم التجارية. خاصة وأن

---

[1] Nékrouf Younès, Une amitié orageuse. Moulay Ismail et Louis XIV, Paris, 1987

الإنجليز احتلوا جبل طارق سنة 1704. وعقد المغرب وانجلترا معاهدة بمكناس سنة 1727 تنص على إقامة قنصليات وعلى حرية التجارة وحرية تنقل السفن البريطانية بالموانئ المغربية وحرية تنقل الإنجليز داخل التراب المغربي.

وأصبحت انجلترا تسيطر على السوق المغربية وتصدر البارود والأسلحة والأثواب مقابل المواد المغربية الحبوب، الأصواف، العاج، الثمور، الجلود...الخ.

ولكن ابتداء من النصف الثاني من القرن السابع عشر لم يبقى للقرصنة الأهمية التي كانت لها في بداية القرن. ورأى كثير من المؤرخين بأن سبب هذا الانحطاط راجع إلى المراقبة المخزنية. ولكن مدن بحرية أخرى عرفت نفس المصير.

وعلى أي فبعد القضاء على الدلائيين من طرف المولى رشيد سنة 1668، خضع القراصنة لسلطة العلويين فأصبح السلاطين الجدد يتحكمون بصفة مباشرة في البحرية لضبط العلاقات مع الدول الأوربية. فانخفض عدة السفن المسلحة من طرف الخوص بل إن الأسطول عرف انخفاضا مهما، ففي سنة 1680 أصبحت القوات البحرية تتكون من تسع سفن. وحوالي

1687 كان يوجد بميناء أبي رقراق ثمانية سفن فقط وفي سنة 1699، انخفض العدد إلى سبعة[1]. هذا الانخفاظ راجع إلى ردور فعل الدول الأوربية ووضعية البلاد الداخلية. فقد اتجهت جهود السلاطين للقضاء على الكيانات السياسية التي قسمت البلاد ولم تحظى البحرية باهتمام كبير.

المواجهة في البحار بين المغرب والدول الأوربية، كان من نتائجها المباشرة ظهور ظاهرة الأسرى. وإذا كان تاريخ الأسرى المسلمين في أوربا غير معروف بما فيه الكفاية، فقد تمت دراسة تاريخ الأسرى الأوربيين.

وكان وجود الأسرى المسيحيين في المغرب وراء ظهور تيار أدبي، أدب الرحلات. وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، تكاثر هذا الإنتاج الأدبي الذي كان يستهلكه الأوربيون بحماس كبير. وانعكست فكرة العداء للاسلام بصورة واضحة على مضمونه. وارتبطت الرحلات بحركة المجموعات الدينية المسيحية. ولهذا فإنها كانت تصدر إما من رجال الدين أو من

---

[1]Caillé, J., La ville de Rabat jusqu'au protectorat français, Paris, 1949, p.291

الأسرى الذين كانوا يتبعون في الكتابة منهج محدد المعالم مسبقا[1].

ظاهرة الأسرى هي جد قديمة، ولكنها اختلفت حسب الفترات، واتخذت طابعا خاصا مع ازدهار القرصنة في النصف الأول من القرن السابع عشر. ففي هذه الفترة كان للأسير قيمة تبادلية كأية بضاعة. وكان الأسرى في البداية ملكا للخواص الذين كانوا يسلحون السفن. وكانت الدول الأوربية تتفاوض مع الخواص لاطلاق سراحهم، ولكن عندما أصبحت البحرية تحت المراقبة المخزنية أصبح الأسرى ملكا للمخزن. فأصبحت الظاهرة سياسية تخضع لنوع العلاقات بين المغرب ودول أوربا، وأصبح حل المشكل يتطلب مفاوضات وسفارات، وفشلت المفاوضات بين المولى إسماعيل ولويس الرابع عشر لأن هذا الأخير رفض التبادل الإجمالي للأسرى. وابتداءا من سنة 1722. توقف التمثيل الدبلوماسي لفرنسا بالمغرب واستمرت القطيعة بين البلدين إلى غاية تولية سيدي محمد بن عبد الله، ورغم هذه الأزمة، فقد أطلق سراح 75 أسيرا فرنسي فيما بين

---

[1] M.Magalli, op.cit., p. 25-34

1704و1723. وخلال هذه الفترة كان يوجد بمكناس 700 أسير مسيحي.

وإذا عرفت العلاقات المغربية الفرنسية تدهورا، فقد ازدهرت العلاقات مع دول أخرى وخاصة ابريطانيا وهولندا ففي سنة 1721، وقعت انجلترا معاهدة تجارية مع المغرب أطلق بموجبها سراح جميع الأسرى الإنجليز. وبعد وفاة المولى إسماعيل اندلعت الحروب الأهلية وسهلت الأزمة عملية تحرير الأسرى لحاجة الأمراء إلى المال.

III.الأزمة السياسية والعسكرية (1727-1757)

مع وفاة المولى إسماعيل سنة 1727، عرف المغرب أخطر أزمة في تاريخه. فخلال ثلاثين سنة أصبح الجيش مصدرا للفوضى. ففرض سلطته وأصبح يعين ويعزل السلاطين حسب المنح المادية المقدمة لأفراد هذا الجيش عند كل تولية. وقد لعب جيش البخاري وعرب الودايا دورا أساسيا في هذه الأزمة، فأصبحت البلاد وخاصة المناطق الشمالية عرضة لنهب والتخريب.

لم تكن هذه الأزمة أزمة سلالية أو أزمة مرابطية، ولكنها أزمة عسكرية، فالجيوش كانت تختار السلاطين من بين الأمراء العلويين، بينما أصبحت الزوايا ملجأ للسلاطين المخلوعين، وانحصر دورها في إيوائهم واستقبالهم. واصطدم الجيش بسكان المدن والقبائل الذين لم يستطيعوا أن يكونوا جبهة لمواجهة الآلة العسكرية. ولكسر الهيمنة وقع تحالف بين

الوادايا وقبائل الغرب وقبائل الأطلس المتوسط، وخاصة كروان وسكان مدينة فاس.

وينبغي التمييز بين ثلاث مراحل:

مرحلة هيمنة جيش العبيد.

مقاومة سكان المدن وقبائل الأطلس المتوسط.

اتحاد القبائل العربية والأمازيغية.

ففيما بين سنة 1727 و 1735 مارس الجيش دكتاتورية حقيقية، وكانت وفاة المولى إسماعيل بمثابة ناقوس لاشتعال الثورة. فتمت مبايعة المولى أحمد الذي أغدق العطايا على جيش العبيد. وفي سنة 1728 خلعه العبيد وعينوا مكانه المولى عبد الملك[1].

وبعد فترة عينوا مرة أخرى المولى أحمد، وفي نفس الوقت بايعت الودايا، إحدى قبائل الكيش أمير علوي آخر: المولى عبد الله[2]. فاندلع النزاع بين العبيد والودايا. أما رجالات الدولة فتمت تصفيتهم. فتدهورت هياكل المخزن، وغادر

---

[1] الناصري، المصدر السابق، ج.7، ص.114

[2] نفسه، ص.122

العبيد القصبات ولجئوا إلى مكناس لاقتسام الهدايا، وتم نهب القرى والمدن. وقلد الوداليا تصرفات جيش العبيد. فأخذوا يهاجمون وينهبون مدينة فاس، فتدهورت الحياة الاقتصادية وأصبحت الخزينة فارغة، وانتشرت المجاعة. وكانت المناطق الشمالية أكثر تضررا من المناطق الجنوبية. وحاول سكان المدن وسكان البوادي المتضررين الفرار. فظهرت حركة هجرة من المدن والقرى في اتجاه المناطق الأكثر أمنا. وهاجر بعض سكان فاس المدينة بينما فضل آخرون البقاء والمقاومة.

ولكن ابتداء من سنة 1735، انكسرت شوكة العبيد والوداليا وتقوت مقاومة سكان فاس وقبائل الأطلس المتوسط. وفيما بين 1735 و 1750، أدت مقاومة السكان إلى الحط من قوة العبيد وهيمنتهم[1]، ولكنها في نفس الوقت زادت من حدة

[1] " وفي سنة ست وأربعين ومائة والف جهز السلطان المولى عبد الله جيشا من العبيد يشمل على خمسة عشر ألفا من الخيل وعقد عليهم للباشا قاسم بن ويسون، واضاف إليهم ثلاثة آلاف من جيش الوداليا وعقد عليهم للقائد عبد الملك بن أبي شفرة ووجههم إلى جبال آيت أومالو، فلما عبر الجيش وادي أم الربيع على قنطرة البروج ونزلوا بسيط آدخسان كادهم البربر بأن أظهروا الفرار امامهم وتوغلوا في الجبالن فتبعهم العبيد إلى أن توغلوا في تلك الجبال ونشبوا في اوعارها، والبربر تفر منهم في كل جهة وهم يتبعونهم الى ان حان وقت المساء فبعث البربر طائفة منهم لسد الثنايا والانقاب التي دخل منها جيش السلطانن فأحكموا سدها بشجر

الاضطرابات والفوضى. وتمكن أحد الأمراء، المولى عبد الله من إعادة السلم تدريجيا إلى البلاد. وحصل المولى عبد الله على مساندة الودايا وكروان الذين نزحوا إلى سهل سايس. فحاصر مدينة فاس وأخضعها لسلطته سنة 1748.

ولتحقيق أهدافه اعتمد السلطان على القبائل المعقلية والقبائل الأطلسية. وقد تم عزل المولى عبد الله للمرة الأولى سنة 1735 لقتله 10.000 من جيش العبيد، ففر واستقر عند قبائل زمور وكروان التي استقبلوه بفائق الاحترام. إلا أنه آثر الاتجاه والاستقرار بسوس. وتمكن مرة أخرى من استرجاع السلطة. وبعد فشله للمرة الثانية لجأ إلى الحاجب عند قبائل المنطقة. وأسس تحالفا بين القبائل والشرفاء والعلماء والودايا إلا أنه تم عزله للمرة الثالثة. ففر واستقر عند كروان، وفهم أن سر التوازن يكمن في تحالف القبائل ضد جيش العبيد. وابتداء من هذه الفترة اعتمد المولى عبد الله في سياسيته على القبائل المعقلية، وخاصة الودايا وقبائل الأطلس المتوسط.

الأرز والحجارة، ولما أصبحوا هجموا على الجيش من كل ناحية وصدقوهم القتال إلى أن ردوهم على أعقابهم..." الناصري، المصدر السابق، ص135-136

وفيما بين 1750 و 1757، عاد الهدوء تدريجيا إلى المغرب وبفضل المساندة القبلية تمكن المولى عبد الله من إخضاع آخر المراكز المقاومة لسلطته، منطقة الريف التي ثارت تحت زعامة أحمد بن علي الريفي وشرفاء وزان وكذلك منطقة الغرب موطن القبائل العربية ومجال تحرك العبيد[1]. كما أن الهدوء السائد في جنوب المغرب، ساعد المولى عبد الله على إيجاد موارد مالية لبيت المال.

فمنذ تعيين ابنه سيدي محمد حاكما على المناطق الجنوبية، قام هذا الأخير بتشجيع التجارة البحرية والقفلية للحصول على مداخيل منتظمة تمكن من أداء رواتب الجنود. وعند وفاة أبيه سنة 1757، كان سيدي محمد بن عبد الله سيدا على الأقل للسهول الأطلسية باستثناء مدينة سلا التي أخضعها سنة 1757.

---

[1] نفسه، ص.163

4.سيدي محمد بن عبد الله (1757-1790)

أ. التنظيم والأوضاع الداخلية

كان للأزمة السياسية والعسكرية التي دامت ثلاثين سنة آثرارا سيئة على الاقتصاد والمجتمع. وأخذ الهدوء يعم البلاد تدريجيا لحالة الانهاك والتي لم يعد بإمكان السكان تحملها. وفي السنوات الأخيرة عرفت المناطق السهلية هدوءا نسبيا رغم استمرارا الاضطرابات في المناطق الجبلية وحركة الهجرة نحو السهول.

في سنة 1745 طلب سكان مراكش من المولى عبد الله القدوم إلى مدينتهم، لكن الظروف لم تسمح له بذلك، فبعث ابنه سيدي محمد كخليفة له. وكما قال الناصري " فكان ذلك

أول ما انغرست شجرة الدولة العلوية بمراكش "[1] . فأقام الحاكم خيامة في القصبة وشرع في بناء قصر. ولكن الرحامنة رفضوا سلطته وأجبروه على مغادرة الدينة. فالتجأ سيدي محمد إلى آسفي حيث تم استقباله من طرف السكان والقبائل المجاورة، عبدة واحمر.

أول خطوة قام بها سيدي محمد هو الدخول في علاقات مع التجار الأجانب وتطوير المبادلات بالميناء. مما أكسبه شهرة في مجموع منطقة الحوز لشخصيته ومرونته السياسية. مما دفع بالرحامنة إلى التراجع عن موقفهم وإرسال وفد لطلب العفو والرجوع إلى المدينة. وبعد فترة التحق سيدي محمد بمراكش واتخذها مقرا لحكمه.

فقام ببناء قصر وأصلح القصبة القديمة وبنى مدرستين وعدة مساجد. وفي نفس الوقت كون جيشا صغيرا من العبيد وعبدة واحمر. فأصبح الأمير سيدا فعليا لمنطقة الحوز. في بداية سنة 1749 ثار عبيد مكناس ضد المولى عبد الله وأرادوا مبايعة

---

[1] الناصري، المصدر السابق، ج.8، ص.170

سيدي محمد، فرفض البيعة بل تدخل لانهاء التوتر بين السلطان والعبيد.

في سنة 1756، سيطر سيدي محمد على سوس وأقر حاميات عسكرية في أكادير وتارودانت. وفي نفس السنة أخضع الشاوية ومنطقة الغرب بل تقدم إلى حدود طنجة. عندما توفي والده سنة 1757 كان سيدي محمد سيدا لجنوب المغرب والسهول الأطلسية. ولم يلقى عند توليه السلطة أية معارضة[1] .

في بداية عهده نهج السلطان سياسة مرنة، حيث ترك تقريبا جميع القواد والحكام في مناصبهم. وشرع مباشرة في تنظيم البلاد. وبعد دعم سلطته قام بعزل مجموعة من القواد وعاقب المتسلطين منهم. كما نقل بعض الفخذات من جهة إلى أخرى عقابا لهم عن عدم انضباطهم.

بعد استصدار فتوى من العلماء، قام سيدي محمد بن عبدالله بإصلاح النظام الضريبي بإقرار المكس من أجل معالجة الأزمة المالية وتوفير مداخيل لبيت المال.

---

[1] نفسه، ص.4

كما اتخذ إجراءات لتنظيم الجيش بالاعتماد على نواة من 15000 من جيش العبيد بالإضافة إلى مجندين من الحوز والغرب ومن القبائل البربرية وخاصة زمور وآيت يدراسن. ولكن السلطان لم تكن القوة العسكرية كسابقه المولى اسماعيل. بل اضطر لمرات عديدة معاقبة العبيد المتمردين والودايا ووزعهم عبر البلاد لإضعاف قوتهم.

اهتم سيدي محمد بن عبد الله بالبحرية، وحاول تكوين أسطول بحري. ولهذا الغرض أصلح أوراش بناء السفن وخاصة في مصب أبي رقراق[1]. وشرع في بناء السفن بالاعتماد على خشب المعمورة والتجهيزات المستوردة من الخارج[2]. بل قام سيدي محمد بشراء سفن من الدول الأوروبية واستقدم خبراء وخاصة من تركيا.

---

[1] نفسه، ص.11-12

[2] بعث سيدي محمد بن عبد الله رسالة إلى التجار الأجانب لاستيراد المواد الضرورية لبناء السفن " من مقدف ومخاطف وصواري وقلع وحبال وما لا بد منه للسفر أي سفر السفن والمراكب". الزياني، المصدر السابق، ص.72

لتجهيز السفن لجأ سيدي محمد بن عبد الله إلى الدول الأوروبية، حيث بعث مجموعة من السفراء. ففي سنة 1763 بعث الحاج التوهامي إلى السويد لشراء المعدات والبارود، وفي نفس السنة ذهب العربي المستيري بسفينته إلى انجلترا لإصلاحها وشراء المدافع والمعدات لتجهيز سفينتين[1]. وفي سنة 1768 أشار لويس دو شينيي Louis de Chénier إلى وصول سفينة دانماركية إلى ميناء الرباط محملة بالأخشاب والمواد لتجهيز السفن[2]

ومن جهة أخرة دعم سيدي محمد تحصينات عدد من المدن الساحلية وخاصى العرائش وسلا والرباط وبنى عددا من القصور والمساجد والمدارس والقصبات. بل قام ببناء مدينة جديدة وهي مدينة الصويرة.

إلا أن سيدي محمد بن عبدالله عانى من صعوبات كبيرة نتيجة للجفاف والمجاعة التي حلت بالبلاد لمدة سبع سنوات (1776-1782). فقد أدى الجفاف إلى تدهور الانتاج

---

[1] الناصري، المصدر السابق، ص.19

[2] Archive national de Paris, B1 832, dépeche du 8 octobre 1768

الفلاحي بالكامل. وزاد من حدته إفراغ مخازن الحبوب بفعل التصدير.

ونجم عن المجاعة وطاعون (1797-1800) تدهورا كبيرا في عدد السكان. حيث انخفض العدد من 5 ملايين نسمة في بداية القرن السادس عشر إلى ثلاثة ملايين. كما أدى أيضا إلى تحولات اجتماعية تمثلت في انخفاض عدد سكان المدن وارتفاع وتيرة الهجرة[1].

رغم سياسة السلاطين العلويين لايقاف حركة الهجرة الجماعية من المناطق الجبلية نحو المناطق السهلية بالأساس، فقد استمرت هذه الظاهرة على شكل تسرب بطيء. فقد تقدم زمور حتى منطقة الغرب في حين وصل كروان إلى جنوب كروان.

كما عرف عهد سيدي محمد بن عبدالله مجموعة من الثورات أولاها ثورة ابنه اليزيد الذي تمت مبايعته من طرف كروان. ولكنه فشل في الحصول على تأييد قبائل آيت أومالوا. وبعد فشله احتمى بأحد الأضرحة في مراكش، ثم إلى ضريح

[1] cf. Laaroussi, M., La saigné démographique au XVIIIè siècle. Les calamités et leurs conséquences, revue de la faculté des lettres et des sciences humaines, Béni Mellal, n°2, p.53 sq

مولاي ادريس بزرهون. في سنة 1775 بويع المولى اليزيد من طرف ألف من عبيد مكناس، وبعد فشل محاولته الثانية لجأ من جديد إلى ضريح مولاي ادريس. وبعد سوء تصرفه مع وفد الحجاج، لجأ عند رجوعه للمغرب إلى ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش ورفض الخروج إلى غاية وفاة أبيه.

واتبع سيدي محمد بن عبد الله اتجاه الزوايا سياسة شبيهة بسياسة المولى اسماعيل. حيث منع عليها القيام بأي دور وسياسي وجعل دورها دينيا محضا. ولهذا الغرض قضى على ثورات المرابطين في الريف ودمر الزاوية الشرقاوية بأبي الجعد وأجبر شيخها على الاقامة بمراكش. وفي أطار نفس السياسة رمم مجموعة من الأضرحة وأغدق العطايا على مجوعة من الزوايا. بل إن شيخ الزاوية الناصرية كان إلى جانب السلطان أثناء حصار مازاكان سنة 1769.

ب.السياسة الخارجية

ارتكزت السياسة الخارجية لسيدي محمد بن عبد الله مع الدول الأوروبية على ثلاث أفكار رئيسية:

-الجهاد لتحرير المدن المحتلة.

-استمرار الجهاد البحري من جهة والسعي لوضع حد لظاهرة الأسرى.

الرفع من حجم المبادلات مع الدول الأوروبية.

ففي سنة 1758 وخلال رحلته لشمال ظهر للسلطان صعوبة تحرير مدينة سبتة لأسوارها القوية. ولكنه نجح في تحرير مدينة مازاكان سنة 1769[1]. لتحقيق هذا الهدف كون السلطان جيشا هاما من 75000 رجل. وتقدمت القوات المغربية وخيمت مقابل المدينة في بداية دجنبر 1768 حيث ابتدأ الحصار. وكان بحوزة المغاربة عددا كبيرا من المدافع وشرع في قصف المدينة. في آواخر فبراير أصدرت الأوامر من الحكومة البرتغالية لإخلاء المدينة. فتم تفخيخ مازكان بالمتفجرات قبل الانسحاب. وشكل تحرير مازاكان نجاحا كبيرا للسلطان.

وفي اطار نفس السياسة حاصر سيدي محمد مليلية سنة 1774 و1775. وقبل الشروع في الحصار راسل السلطان

---

[1] حول تحرير مدينة مازاكان انظر:

Goulven, J., La place de Mazagan sous la domination portugaise (1502-1769), Paris, 1917.

ملك اسبانيا يطالبه بإخلاء المدن المحتلة. وجمع سيدي محمد قوات كبيرة وشرع في قصف المدينة بالمدافع. وصمد الاسبان أمام جميع محاولات الاقتحام. وأما استحالة استرجاع المدينة رفع الحصار يوم 19 مارس 1775.

بالإضافة إلى سياسته لتحرير المدن المحتلة اهتم سيدي محمد بن عبد الله بإعادة بناء الأسطول البحري. فأقام أوراش لبناء السفن خاصة في مصب أبي رقراق واستورد التجهيزات من الخارج، كما استقدم خبراء أجانب وخاصة الأتراك. وحسب الوثائق وصل عدد السفن سنة 1771 إلى 20 قطعة.

كانت السفن تتحرك في المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط. وكانت الحملات موجهة ضد الدول غير المتعاقدة مع المغرب. ففي سنة 1761 تمكنت البحرية المغربية من ايقاف سبع سفن اسبانية وثماني سفن برتغالية. وفي سنة 1764 تم ايقاف 15 سفينة فرنسية ثم في السنة الموالية سبع سفن أخرى[1].

---

[1] Coindreau, R., Les corsaires de Salé, Casablanca, 1948, p.202

لم تبق الدول الأوروبية مكتوفة الأيدي. وهكذا ففي شهر يونيو1765 تمكن الأسطول الفرنسي من الاستيلاء على سفينة قادمة من تركيا محملة بالأسلحة والذخيرة. ثم اتجه الأسطول لقصف العرائش والرباط. وفي مدينة العرائش حاصر المغاربة القوات الفرنسية أثناء توغلهم عبر النهر وقتلوا 300 وأسروا [1]50.

من نتائج المواجهة في البحار ظاهرة الأسرى. وكان سيدي محمد حريصا على تحرير الأسرى. ففي سنة 1765 خاطب في رسالة ملك اسبانيا بما يلي: " أنه لا يسعنا في ديننا اهمال الأسرى وتركهم في قيد الأسر، ولا حجة في التغافل عنهم لمن ولاه الله الأمر، وفيما نظن أنه لا يسعكم في دينكم أيضا"[2] .

---

[1] حول الحملة الفرنسية على العرائش وسلا:

Mémoire de 1764 du cmte de Gurchy au Duc de praslin et la lettre de Choiseul à Praslin daté du 22 juillet 1764. A.N.P., 831.; Mémoire du Roy pour servir d'instruction à M. du chaffaut chef d'escadre des armées navals", A.N.P., marine C1 91.

الناصري، المصدر السابق، ص.21-22

[2] نفسه، ص.23

في سنة 1766، أرسل سيدي محمد أحد كتابه أحمد الغزال إلى مدريد للتفاوض بشأن الأسرى[1]. وطالب مبعوث السلطان بإطلاق سراح الأسرى المرضى ووضع لائحة لجميع الأسرى المغاربة والحصول على تعهد من السلطات الاسبانية بوعد لمعاملتهم بإنسانية والسماح لهم بممارسة الشعائر الدينية والتوقف عن العمل حين موعد الصلاة. وبفضل جهود أحمد تم إطلاق سراح 300 أسير مسلم. والذين يشكلون تقريبا مجموع المغاربة الأسرى. بل تدخل المغرب بين الجزائر واسبانيا لتبادل الأسرى.

واستمر التبادل حتى أثناء حصار مليلية سنة 1774-1775. ففي شهر يناير 1775 وصلت سفينة اسبانية إلى مدينة طنجة وعلى متنها 17 أسيرا محررا. وبعد أسابيع دخلت سفينة اسبانية إلى ميناء العرائش فأوقفتها السلطات المغربية. بمجرد معرفة سيدي محمد بالحدث أمر بتحرير السفينة والطاقم ودفع تعويضا لهم منذ أول يوم التوقيف. وفي سنة 1778

---

[1] حول مهمة أحمد الغزال انظر:

Caillé, J., La petite histoire du Maroc, Rabat, 1952, pp.83-90; levi-Provençal, Les historiens des chorfa, Paris, 1922,pp.327-330.

تدخل سيدي محمد لتحرير زوجة وابنة حاكم وهران التان أسرتا أثنا تجولهما قرب البحر وكاعتراف حرر الاسبان 120 أسير جزائري.

لم تكن اسبانيا الدولة الوحيدة. فقد نصت أغلبية المعاهدات الموقعة بين المغرب والدول الأوروبية على تحرير الأسرى. وعلى سبيل المثال، اشارت المعاهدة المغربية البريطانية لسنة 1760 إلى تحديد المبلغ المالي لتحرير الأسير، وكذلك الشأن في المعاهدة المغربية الفرنسية.[1] والمعاهدة المغربية-الهولندية لسنة 1777.

كما تم تحرير الأسرى في مناسبات أخرى. فبعد تحرير مازاكان في سنة 1769 أرسل سيدي محمد لدوق توسكانيا 38 أسيرا فحرر هذا الأخير نفس العدد من الأسرى المغاربة. وفي سنة 1777 ارسلت سفارة إلى فرساي وبرفقة الفير المغربي 19 بحار فرنسي أسروا من طرف القبائل بعدما غرقت سفينتهم في رأس بوجادور حيث تم بيعهم عدة مرات كعبيد، فاشتراهم

[1] Penz, Charle, Journal du consulat général de France au Maroc (1767-1782) paraphé par louis de Chénier, Casablanca, 1943, pp. 10-12

سيدي محمد وحررهم دون مقابل[1] . وفي سنة 1778 حرر دوق توسكانيا 62 أسير مغربي وبعثم إلى السلطان. وفي سنة 1782 دفع السلطان مبلغا هائلا لتحرير عدد كبير من الأسرى المسلمين بمالطا أغلبيتهم غير مغاربة[2].

تظهر مختلف هذه الوقائع ايمان سيدي محمد وتمسكه بإلغاء ظاهرة الأسرى. ففي 25 مارس 1786 أخبر سيدي محمد القناصل الأوروبيين بإعفاء أي تاجر عمل على تحرير الأسرى من أداء الرسوم الجمركية بل السماح له باستيراد كمية من القمح من موكادور.

عندما كان سيدي محمد خليفة لأبيه في الجنوب كان حريصا على معرفة ليس فقط نظم الحكم بأوروبا ولكن النشاط الاقتصادي لهذه الدول. و أشار التاجر الفرنسي ايتيان راي Etienne Rey والذي كانت تربطه علاقة صداقة مع سيدي محمد اهتمامه الشديد لمعرفة نظم الحكم بأوروبا

---

[1] Archives Affaires étrangères, mémoires et documents, Maroc, fol. 436-455.

[2] Chénier, Recherches historiques sur les Maures…, p.504

وطبيعة أنشطتها الاقتصادية للاستفادة منها، وكان دائما يتسائل عن كيفية وصول الدول الأوروبية لهذا المستوى[1].

وبمجرد بيعته، اهتم السلطان بالإصلاح المالي. ورأى أن التجارة الخارجية يمكن أن تشكل مصدرا لمداخيل بيت المال. ولهذا الغرض عمل السلطان على توقيع معاهدات مع مختلف الدول الأوروبية واهتم بالمدن الساحلية، بل بنى مدينة جديدة هي موكادور سنة 1764. وكان الهدف من بناءها تركيز تجارة الجنوب في الميناء الجديد لمراقبة التجارة الخارجية ومحاربة تجارة التهريب. كما عمل على تهيئة مجموعة من الموانئ لتصدير القمح خاصة مينائي أنفا (الدار البيضاء) وفضالة (المحمدية).

---

[1] بعد طرده من مراكش واستقراره بآسفي ربط سيدي محمد علاقات مع التجار الأوروبيين ومن بينهم تاجر فرنسي ايتيان راي Etienne Rey الذي عبر في إحدى رسائله عن الاهتمام الشديد لسيدي محمد بن عبد الله لمعرفة نظم الدول الأوروبية: " كان يبعث لي لمجالسته ثلاث أو أربع مرات في الأسبوع. وكان يسألني: كيف استطاعت الممالك الأوروبية الوصول إلى هذا القدر من التطور التجاري.وشكل هذا الموضوع دائما محور حديثنا. وكان يقول لم ينتبه جدي المولى اسماعيل ولا أعمامي وأبي لهذا"

A.N.P., B1 831, mémoire de Rey 25 aout 1762

شكلت مجموع المعاهدات والاتفاقيات الإطار القانوني للعلاقات المغربية الأوروبية سواء على المستوى السياسي أو التجاري إلى غاية سنة 1856م تاريخ توقيع المعاهدة المغربية-الانجليزية، و التي حصل بموجبها الانجليز على امتيازات وتنازلات، امتدت إلى مجموع الدول الأوروبية بموجب بند الدولة المفضلة الوارد في المعاهدة المغربية-الفرنسية سنة 1767م. و هكذا يعتبر سيدي محمد بن عبد الله مهندس المغرب الحديث حسب تعبير عبد الله العروي.

لائحة المعاهدات و الاتفاقيات و الهدن

1. معاهدة مع الدانمارك: 18 يونيو 1753م

2.معاهدة مع الدانمارك :21 فبراير 1754م

3. معاهدة مع الدانمارك:24 ماي 1754م

4.معاهدة مع ابريطانيا:28 يوليز 1760م

5.معاهدة مع السويد: 16 ماي 1763م

6. معاهدة مع البندقية : 15 يونيو 1765م

7. هدنة مع فرنسا :10 أكتوبر 1765م

8. معاهدة مع اسبانيا : 28 ماي 1767م

9.معاهدة مع فرنسا : 28 ماي 1767م

10. معاهدة مع الدانمارك: 27 نونبر 1767

11 .معاهدة مع البرتغال: 27 نونبر1773م

12. معاهدة مع هولندا : 10 شتنبر1777م

13.معاهدة مع السويد :10 شتنبر 1777م

14.معاهدة مع توسكانيا 6 فبراير 1778

15. اتفاقية مع الاسبان: 30 ماي 1780م

16. معاهدة مع صقلية : 18 أكتوبر 1782

17. معاهدة مع النمسا : 17 أبريل 1783م

18. اتفاقية مع ابريطانيا :26 ماي 1783م

19. معاهدة مع الولايات المتحدة الأمريكية : يونيو 1786

II.المصادر التاريخية

1. الكتابة التاريخية التقليدية

كتب ليفي بروفنصال عند حديثه عن الثقافة الاسلامية والمغربية: " لكن لم يكد القرن الخامس عشر الميلادي يشرف على الانقضاء حتى خمد النشاط بل ران الركود خاصة في الأندلس، إذ اضطر العديد من المسلمين إلى مغادرة عواصمها وثغورها، مهاجرين إلى العدوة الافريقية، فكان ذلك من الأسباب التي أدت إلى تكوين المدرسة المغربية واكتمال خصائصها، وتوطدت دعائم تلك المدرسة بعد أن تراخت الروابط التي كانت تصل هذه البلاد بالمراكز الفكرية الشرقية"[1].

منذ هذه الفترة، أي خلال عهد الدولتين السعدية والعلوية تركزت الثقافة في المدن الكبرى، العواصم التقليدية فاس ومراكش وفي مختلف الزوايا المنتشرة في مجموع المناطق

---

[1] ليفي بروفنصال، مؤرخو الشرفاء، تعريب عبد القادر الخلادي، الرباط، 1977

المغربية سهلية وجبلية وصحراوية حسب نظام تعليمي أقر سلفا واستمر إلى عهد قريب، بل لا زال متبعا في نفس المراكز الدينية إلى يومنا هذا.

بما أن الثقافة السائدة هي الثقافة الاسلامية المتشابهة في جميع الأقطار، فقد نسجت الكتابة التاريخية المغربية على غرار أساليب كبار المؤرخين في العالم الاسلامي كالطبري والمسعودي وابن خلدون....الخ. وجعل البعض منهم التاريخ من العلوم الشرعية، ولا يخلوا كتاب من الفوائد الجليلة للتاريخ كما ابرزها ابن خلدون في مقدمته: "اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم و الأنبياء في سيرهم و الملوك في دولهم وسياستهم. حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا"[1] .

شكل هذا النص ونصوص أخرى أوردها كبار مؤرخي العالم الاسلامي مرتكزات لتبرير الكتابة التاريخية من طرف

[1] ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، بيروت، 1977، ص.9.

المؤرخين المغاربة. ولخصها أحمد بن خالد الناصري في كتابه الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى:

"اعلم أن علم التاريخ من أجل العلوم قدرا، وأرفعها منزلة وذكرا، وأنفعها عائدة وذخرا، وكفاه شرفا أن الله تعالى شحن كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، من أخبار الأمم الماضية والقرون الخالية، بما أقحم به أهل الكتاب، وأتى من ذلك بما لم يكن لهم في ظن ولا حساب، ثم لم يكتف تعالى بذلك حتى أمن به على نبيه الكريم. وجعله ما أسداه إليه من الخير العميم، فقال جل وعلى: تلك القرى نقص عليك من أنبائها. وقال: وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك. وقال: لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يحدث أصحابه بأخبار الأمم الذين من قبلهم، ويحكي من ذلك ما يشرح به صدورهم ويقوي إيمانهم" [1]

[1] الناصري، احمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء، 1955، ج.1، ص.3

ومما يذكره الفقهاء والمؤرخون حول أهمية التاريخ ما أورده السيوطي حول واقعة وزير القائم بأمر الله العباسي علي بن الحسين مع اليهود في بغداد وحاصلها "أنهم أظهروا رسما قديما يتضمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بإسقاط الجزية عن يهود خيبر وفيه شهادة جماعة من الصحابة منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فرفع الرسم إلى رئيس الرؤساء وعظمت حيرة الناس في شأنه، ثم عرض على الحافظ أبي بكر البغدادي فتأمله وقال هذا مزور. فقيل له: بم عرفته؟ قال: فيه شهادة معاوية وهو إنما أسلم عام الفتح سنة ثمان من الهجرة وخيبر فتحت سنة سبع. وفيه شهادة سعد بن معاد وهو مات يوم بني قريضة وذلك قبل فتح خيبر فسر الناس بذلك وزالت حيرتهم."[1]

ويمكن أن نعدد الأمثلة من خلال مختلف المؤلفات التاريخية. فهي تسوق نفس الحجج على ما للتاريخ من أهمية لمعرفة أخبار الماضي وتدوين سير الأنبياء والصحابة للاقتداء بها وأخبار الأمم والملوك والقادة للاستفادة منها بل إن التاريخ

[1] نفسه، ص.4

اعتبر "معينا على الفقه...وذلك أن جل الأحكام الشرعية مبني على العرف، وما كان مبنيا على العرف لا بد أن يطرد باطراده وينعكس بانعكاسه، ولهذا ترى فتاوى الفقهاء تختلف باختلاف الأعصار والأقطار بل والأشخاص والأحوال"[1] .

نستنج مما سبق أن كتب التاريخ سجلت الأحداث ذات النتائج الظاهرة على البشر. "تترتب على هذه النظرية نتيجة معروفة، وهي أن الحوادث لا تذكر إلا إذا كانت تجارب وعبرا لا بمعنى أن المؤرخ لا يسجل من الأحداث إلا ما كان له مغزى، بل إن الحوادث لا تذكر، لا تعلق بالذاكرة، إلا إذا تحولت هي نفسها في حالة حدوثها إلى عبر."[2] .

وبصرف النظر عن ما كتب عن التاريخ والمؤرخين، فقد رغب جميع الملوك والأمراء وأحيانا كبار القواد وشيوخ الزوايا في تدوين سيرهم للرفع من منزلتهم داخليا وخارجيا. وكانت الفئة المثقفة واعية بهذه الرغبة، ولهذا سعت من خلال الكتابة

---

[1] الناصري، نفسه، ص.4. ليفي بروفنصال، المرجع السابق، ص.39-43

[2] العروي، عبد الله، مفهوم التاريخ. الألفاظ والمذاهب، بيروت، 1992، ج.1، ص. 36.

التاريخية إلى تحقيق أهداف تتمثل في التقرب من المخزن للحصول على العطايا أو الوظائف مركزيا وجهويا.

حسب ليفي بروفنصال لم يوجد في المغرب مؤرخون رسميون في البلاط باستثناء فترة حكم أحمد المنصور الذهبي (1578-1603) الذي جعل من عبد العزيز الفشتالي مؤرخا رسميا للدولة السعدية ولعهده بالخصوص[1]. أما الملوك الآخرون فقد " كانوا يكتفون بتشجيع من يتغنى بفضائلهم وتكريم من يشيد بمحامدهم"[2].

وتم تأليف مؤلفات تاريخية وكتابات لم تقدم إلى السلاطين، بل إن البعض منها انتقد بشدة سياسة الحكام وركز على عيوبهم. والبعض منها ظل مجهولا إلى أن اكتشف في السنوات الأخيرة، كما هو حال كتاب الضعيف الرباطي الذي اعتبره ليفي بروفنصال من الكتب المفقودة[3].

---

[1] ليفي بروفنصال، المرجع السابق، ص.48

[2] نفسه، ص.44

[3] توجد نسخة مخطوطة من كتاب الضعيف الرباطي في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم د. 758. وحقق الكتاب من طرف الأستاذ أحمد العماري: تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)، الرباط، 1986.

إذا كانت مختلف المؤلفات التاريخية لا تخالف النسق المحدد سلفا فما هي طبيعة معلوماتها؟ وما مدى مساهمتها في الكتابة التاريخية؟

يميز عبد الله العروي في كتابه من الناحية النظرية على الأقل "بين الحادثة والوثيقة والعملية الرابطة بينهما والتي نسميها نقدا"[1]. وإذا ركز المؤرخون على الحدث، فإن الأحداث والوقائع تتميز بتنوعها: أحداث عسكرية كالمعارك، سياسية كالإصلاحات أو القرارات، عمرانية كبناء مدينة أو مسجد أو قصر، مالية كسك عملة أو إقرار ضريبة، ديبلوماسية كعقد معاهدة...الخ.

عبر عن تنوع الأحداث الواردة في المؤلفات التاريخية الحسن اليوسي بقوله: " قد يقع في الدول من أول المملكة الإنسانية وقد يختص بخبر دون غيره، وقد يختص بالدولة الاسلامية وقد يكون في أعمار الأعيان ووفياتهم، وقد يكون في اختطاط البلدان والمساجد والرباطات ونحو ذلك، وكل ما يحتاج فيه إلى شيء من أمور الشرع كتاريخ سكة معلومة

---

[1] العروي، المرجع السابق، ص.67.

أومكيال معلوم أو مسجد عتيق...والتقى فلان من الرواة بفلان أو مكان التقائه أو كون فلان من المتقدمين أو المتأخرين من الصحابة أو لا غير ذلك فهو داخل في العلوم الشرعية وما سوى ذلك خارج عنه، غير أنه أفاد فائدة أخرى كالاعتبار والاستبصار وكالاهتزاز لوصف محمود بسماع أخبار من اتصف به من صلاح أو عبادة أو زهد أو شجاعة أو حلم أو سخاء ونحوه وغير ذلك من المصالح فمحمود"[1].

يعبر هذا النص بوضوح عن مضامين المؤلفات التاريخية التي تتناول إلى جانب التحركات العسكرية معلومات عن انجازات السلاطين في مختلف المجالات والعلاقات الخارجية بالتركيز على البعثات الأجنبية وخاصة السفراء الوافدون على القصر ومراسيم استقبالهم والسفراء المبعوثين إلى مختلف الدول ومعلومات عن بعض كبار موظفي المخزن من وزراء وقواد وباشوات وقضاة وأمناء كلما وجب ذكرهم اثناء السرد القائم على التسلسل الزمني للأحداث. يضاف إلى هذا الأحداث الطبيعية كالجفاف والمجاعات لما لها من تأثير ليس فقط على

---

[1] نفسه، ص.68

السكان ولكن على مداخيل بيت المال بحكم تدهور الانتاج ومداخيل المخزن المرتكزة أساسا على الجبايات.

وما ينبغي الاشارة إليه، وحسب نسق الكتابة التاريخية التقليدية هو التركيز على أحداث دون أخرى. ومن هنا سيادة معايير عفوية للتمييز بين الأحداث، حيث لا تذكر إلا الأحداث المرتبطة بالشخصيات السياسية كالملوك والدينية كشيوخ الزوايا. ولا تذكر القبائل ومكوناتها إلا عند احتكاكها بالمخزن.

بتفحص الانتاج التاريخي منذ القرن السادس عشر الميلادي، يظهر بأن مؤرخي الدولة السعدية والدولة العلوية اعتمدوا على مجموعة من المصادر لصياغة مؤلفاتهم. ويأتي على رأس القائمة المؤلفات التاريخية السابقة خاصة عند تناول العهود السابقة لعهد المؤلف. وتكمن مصداقية المؤرخ في ذكر مصادره. وهنا لابد من الاشارة إلى ظاهرة تكررت باستمرار وهي اقتباس المعومات دون ذكر المصدر بل أحيانا انتحالها. إلا أن المؤرخين غالبا ما يعرضون أثناء سردهم للأحداث أسماء المؤلفين وعناوين الكتب المعتمدة. فأثناء الحديث عن الدولة

السعدية ذكر الافراني اعتماده على المؤرخ عبد العزيز الفشتالي وكتابه مناهل الصفا. وكذلك الشأن بالنسبة للمؤرخ أبو القاسم الزياني وأحمد بن خالد الناصري...الخ.

ومع ظهور الطباعة وانتشار الكتب ودراستها من طرف الباحثين تم الكشف عن أصول مختلف النصوص التاريخية الواردة في المؤلفات.

إلا أن المؤرخين المغاربة لم يعتمدوا فقط على المصادر التاريخية ولكن البعض منهم، بحكم علاقاته أو وظيفته المخزنية أو إقامته في إحدى الزوايا قام باستغلال بعض الوثائق التي أمكنه الاطلاع عليها. وفي هذا الاطار نذكر المؤرخ الزياني الذي تقلب في عدة وظائف مخزنية خاصة في عهد سيدي محمد بن عبد الله (1757-1790) و المؤرخ الافراني الذي أقام لردح من الوقت في الزاوية الشرقاوية بتادلا.

ومن بين المصادر الرواية الشفوية خاصة بالنسبة للفترة السابقة مباشرة لعهد المؤلف حيث يستقي معلوماته من الأشخاص الذين لا زالت الذكريات عالقة بأذهانهم. وغالبا ما تنسب الرواية إلى الراوي أي يتم اللجوء إلى ذكر السند وهي

المنهجية التي تم اعتمادها في الكتابات الاسلامية وبشكل دقيق من طرف الفقهاء وجامعي الأحاديث: الأئمة البخاري ومسلم والترميدي والنسائي...الخ

فيما يتعلق بمصادر الافراني على سبيل المثال ذكر ليفي بروفنصال ان المؤرخ " استند في تاريخه هذا على ثلاثة وأربعين مصدرا، بعضها يتصل بالتاريخ العام وبعضها يتصل بتاريخ الدولة السعدية، كتاريخ الفشتالي، ودرة الحجال والدر الحلوك لابن القاضي...واعتمد كذلك على عدة مراجع غير تاريخية. بالإضافة إلى ما تقدم فإن الافراني استطاع أن يرجع في تاريخه إلى أوثق المصادر المعروفة في عهده ويستعملها استعمالا سليما، وأن يرجع كذلك إلى بعض المستندات الرسمية بحكم وظيفته في المخزن بحيث توصل إليها ونقل منها بأمانة"[1].

ولهذا ارتكزت المنهجية على جمع المعلومات المتعلقة بالأحداث والأعلام وفق الترتيب الزمني و لا " يدلون إلا نادرا بآرائهم الشخصية في الأخبار التي يوردونها، فإنهم يكتفون

---

[1] ليفي بروفنصال، المرجع السابق، ص.96

بتقديم عناصر القضايا، المسلمة وغير المسلمة، ولا يتورطون بإبداء حكمهم الخاص، بل يتركون ذلك للقراء"[1].

من بين أهم أنواع الكتابات التي ازدهرت في المغرب منذ القرن السادس عشر الميلادي كتب التراجم. ولا يمكن بتاتا الفصل بين ازدهار هذا النوع من التأليف والغزو الايبيري، الاسباني والبرتغالي للسواحل المغربية وما رافقه من أزمة سياسية واقتصادية وانتشار الزوايا بمختلف مناطق المغرب والدعوة إلى الجهاد لتحرير المدن الساحلية والمناطق المحتلة.

هكذا لعب عاملان أساسيان دورا حاسما في انتشار الزوايا وتقوية الحركة المرابطية: أزمة السلطة المركزية أي المرينيين وخلفائهم الوطاسيين والتهديد المسيحي، الاسباني والبرتغالي. ونتج عن الاضطراب الناجم عن أزمة آواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر إنعاش وتجديد للحياة الدينية كما هو الحال دائما في في عهود الأزمات. وظهر بأن المحن بمختلف أشكالها هي عقاب إلاهي ناجم عن الانحراف عن مبادئ الدين والطريق المستقيم.

---

[1] نفسه، ص.60

في خضم هذه الأوضاع جردت السلطة الوطاسية الضعيفة من شرعيتها الدينية لعجزها عن الدفاع عن البلاد بل تآمرها مع الأجانب. فاتجهت أنضار السكان إلى من له القدرة على مواجهة الغزو. وكان شيوخ الزوايا والشرفاء، أصحاب البركة، الوحيدين القادرين على الاستجابة لمتطلبات الشعب المتمثلة في الخلاص من سلطة منحطة ومن المسيحيين الغزاة.

فانتشرت فكرة الجهاد مقابل الغزو الصليبي. وأدت تجاوزات الاسبان والبرتغال إلى ظهور عقلية جهادية تدعمت مع وصول الأندلسيين المطرودين من الأندلس والمجردين من أموالهم وممتلكاتهم. فأخذ الشيوخ والخطباء في دعوة الناس لحمل السلاح والجهاد. وأصبح دور الزوايا دينيا وسياسيا وعسكريا.

فاتخذت الحياة الدينية والثقافية شكلا جديدا. حيث انتشرت الزوايا في مختلف مناطق المغرب. ولضعف وغياب السلطة المركزية أصبحت تقوم بمجموعة من الأدوار بين القبائل: تعليمية، تحكيمية وخيرية مما جعل منها قوة جهوية تحضى باحترام ورضى السكان.

عمل طلبة الزوايا، بعد انتهاء تكوينهم على نشر نفوذ هذه الزاوية أو تلك. وتربط الروايات بين ظهور الزاوية في منطقة ما ووصول طلبة أحد الشيوخ بأمر من هذا الأخير.

ونجحت الزوايا في الاستجابة للمتطلبات المحلية. وانتشرت ثقافة تدعوا إلى الجهاد ضد المسيحي والعودة إلى الطريق الصحيح وإصلاح الذات بواسطة التصوف للاحتفاظ بالقيم الاسلامية المهددة.

في ميدان الكتابة ازدهر نوع من التأليف: كتب التراجم فيما بين القرن السادس عشر والقرن التاسع عشر. وتعتبر من المصادر الهامة للتعريف بشيوخ الزوايا والأولياء والعائلات الشريفة مما يمكن من دراسة كثير من جوانب التاريخ الديني للمغرب في العصر الحديث. حيث سجلت هذه المؤلفات سير كل من اشتهر بالعلم والصلاح، نسبهم ومناقبهم وأعمالهم.

ومن أشهر المؤلفين ابن عسكر: "إن أشهر أصحاب التآليف المخصصة للتراجم عاشوا في القرن السادس عشر والأحقاب التي تلته، ولم يتمثل الشكل الحقيقي لهذا النوع من

الكتب إلا بظهور دوحة الناشر لابن عسكر، وبظهور معاجم الأعلام التي اعتكف على تدوينها ابن القاضي فالافراني فالقادري..."[1].

2. المراسلات المخزنية

تعد الخزانة الحسنية بالرباط من أهم دور الأرشيف بالمغرب. فبالإضافة إلى المخطوطات يوجد بها كنانيش وسجلات رسمية مرتبة ترتيبا كرونولوجيا حسب عهود السلاطين وحسب المواضيع. وقد اعتمد كثير من الباحثين على هذه الوثائق لانجاز دراساتهم.

تناولت هذه الوثائق مواضيع متنوعة التعيينات والإعفاءات، شؤون الأمن الداخلي، أمور الجيش والسلاح، الشؤون الاقتصادية والمالية، المكوس والجبايات والرسوم،

---

[1] ليفي بروفنصال، المرجع السابق، ص.152

الشؤون الخاصة بالبيت الملكي، الشؤون الدينية، الموانئ والملاحة[1].

وتفيد هذه الوثائق في دراسة الجهاز المخزني سواء على المستوى المركزي أو الجهوي وخاصة علاقة السكان بالدولة. هذه العلاقة التي كتب عنها الكثير وأثارت جدلا بين مؤرخي الفترة الاستعمارية والمؤرخين المغاربة.

كما تم نشر عدد من المراسلات المخزنية سواء من طرف مديرية الوثائق الملكية(الوثائق) أو من بعض الباحثين. ونذكر على سبيل المثال لا الحصر الرسائل المتبادلة بين السلطان المولى اسماعيل والعالم عبد القادر الفاسي والمتعلقة بتكوين جيش العبيد[2].

---

[1] بوسلام، محمد بن البشير، تاريخ قبيلة بني ملال (1854-1916). جوانب من تاريخ دير الأطلس المتوسط ومنطقة نادلا، الرباط، 1991، ص.13.

[2] Mohamed el Fasi, Lettres inédites de Moulay Ismael; étude, textes et photocopies des lettres, Hespéris-Tamuda, Rabat, 1962.

3.المصادر الفرنسية: المراسلا القنصلية

ترجع العلاقات المغربية الأوربية إلى عهود قديمة. فقد كانت السفن التجارية الأوروبية تتجه إلى السواحل المغربية من أجل التجارة. وازدادت هذه العلاقات كثافة خلال القرون اللاحقة. مما أدى إلى نشوء علاقات دبلوماسية. ففي سنة 1577م عينت فرنسا كيوم بيرارد من مارسيليا قنصلا بالمغرب. وابتداء من هذا التاريخ استمر التمثيل الدبلوماسي رغم بعض الأزمات التي عكرت صفو العلاقات بين البلدين.

ونتج عن التمثيل الدبلوماسي وتواجد التجار الفرنسيين والأسرى وثائق متنوعة: مراسلات رسمية، رسائل ومذكرات وإنتاج أدبي غزير. توجد أغلبية هذه الوثائق في الأرشيف الوطني ووزارة الخارجية بباريس وبمدينة مارسيليا. اما وثائق الفترة الاستعمارية فهي ضمن محفظات وزارة الخارجية ووزارة الحربية بقصر فانسين بباريس والأرشيف الدبلوماسي بنانت. وقد تم نشر الوثائق المتعلقة بالدولة السعدية والدولة العلوية إلى غاية عهد المولى اسماعيل من

طرف لجنة برئاسة هنري دو كاستري ضمن سلسلة المصادر الأصلية لتاريخ المغرب.

أما وثائق النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي فتوجد في الأرشيف الوطني بباريس (A.E.B1. vol. 825-A.E.B1. vol.843) تغطي الفترة الممتدة من 1577 إلى سنة 1789. والنص المقدم مأخوذ من المراسلات القنصلية للقنصل الفرنسي لويس دو شيني الذي مارس مهامه في المغرب بعد توقيع اتفاقية السلم والصداقة سنة 1767 إلى غاية سنة 1782.

تمت كتابة هذه الوثائق إما من طرف التجار أو القناصل أو البحارة أو كبار موظفي الحكومة الفرنسية.

فبعد فشل المفاوضات بين المولى اسماعيل ولويس الرابع عشر توقف التمثيل الدبلوماسي لفرنسا بالمغرب لمدة تقارب خمسين سنة. وانتهت القطيعة سنة 1767 م تاريخ توقيع المعاهدة المغربية-الفرنسية وتعيين لويس دو شيني قنصلا لفرنسا بالمغرب.

وهكذا فإن جل وثائق هذه الفترة من كتابة لويس دو شيني. وخلال عطلته من 5 يوليوز 1773 إلى 22 أبريل 1775 أشرف الدبلوماسي بارتيليمي دو بوتونيي Barthelemy de Pothonier على المراسلات. وبعد طرد لويس دو شيني من المغرب سنة 1782 م من طرف سيدي محمد بن عبد الله استمر هنري نويل مير Henri Noel Mure في إدارة شؤون القنصلية إلى أن تم تعيين قنصل جديد دي روشي Du Rocher سنة 1785م.

بما أن العلاقات الدبلوماسية تتطلب تبادل الرسائل بين المخزن والممثل الدبلوماسي والحكومة الفرنسية فقد وجد من بين الوثائق رسائل بالعربية.

ويمكن تصنيف وثائق المراسلات القنصلية كما يلي: الرسائل الرسمية، مذكرات وتقارير. وتضم معلومات حول الجهاد البحري (القرصنة) والوضعية السياسية للبلد والتجارة الخارجية للمغرب.

بعد فشل المفاوضات بين المولى اسماعيل ولويس الرابع عشر كانت فرنسا من بين الدول الأوروبية التي عانت

من هجمات السفن المغربية. ولم تتوقف الحملات إلا بعد توقيع معاهدة 1767 م. و كان القنصل الفرنسي يراقب تحركات البحرية المغربية. وهكذا وجد من بين الوثائق تقارير حول وضعية "القرصنة" للسنوات التالية: 1767،1768، 1769، 1771، 1773، 1774، 1778، 1780، 1785، و 1786. وتتضمن هذه الوثائق أسماء رؤساء البحرية المغربية وعدد البحارة ونوع السفن ونوع الأسلحة. معلومات قيمة لدراسة البحرية المغربية.

وتحتوي هذه المراسلات كذلك على معومات تتعلق بالتجارة الخارجية والحركة التجارية بالموانئ. وقد كتب شيني خمسة تقارير حول وضعية التجارة مؤرخة ب30 ماي 1769، 24 يونيو 1770، 20 يوليوز 1772.

كما اهتم لويس دو شيني بالوضعية السياسية الداخلية بالمغرب. حيث أورد معلومات عن التحركات العسكرية للسلطان، انتفاضة بعض القبائل، طريقة الحكم...الخ.

إلا أن التحليل الصادر عن أجانب قاطنين بالمدن الساحلية يتضمن كثيرا من أحكام القيمة التي ينبغي عزلها عن النص.

VI.منهجية تحليل النصوص

تعتبر النصوص التاريخية بمختلف أنواعها المادة الخام الرئيسية والركيزة الأساسية للبحث التاريخي. ومن هنا ضرورة دراسة النصوص وتحليلها ونقدها للتحقق من المعلومات الواردة والتساؤل عن مدى صحتها وظروف كتابتها والجانب الاديولوجي المغلف لمضامينها ناهيك عن مدى صحة نسبتها لصاحبها.

بما أن المصادر متنوعة فإن النصوص بدورها متنوعة حسب نوع الكتابة التي تنتمي إليها. ويظهر الاختلاف جليا بين النصوص الأجنبية والمغربية بالخصوص حيث أن الأولى مليئة بأحكام القيمة.

رغم بعض الاختلاف في الطرق المتبعة لتحليل النصوص فإن الاختلاف في غالب الأحيان شكلي ونسبي.

يضم التحليل ثلاثة عناصر أساسية: التقديم، التحليل والتعليق ثم الخلاصة.

التقديم

يضم التقديم ثلاث عناصر كذلك: نوعية النص، صاحب النص والسياق التاريخي للنص.

نوعية النص

ينتمي كل نص لنوع خاص من الكتابة: كتابة تاريخية تقليدية، تراجم، رحلات عربية أو أوروبية، كتابات أدبية أو فقهية، كتابات صحفية...الخ أو لمجموعة وثائقية: مراسلات مخزنية، ظهائر، وثائق دبلوماسية، مراسلات أجنبية التي تم نشر البعض منها أو التي لازالت محفوظة في دور الأرشيف، مذكرات لسياسيين وعسكريين وديبلوماسيين...ومن هنا ضرورة التعريف بنوعية النص لأنه فرع من أصل. وتحديد النوعية هي بالأساس استحضار لمميزات أصناف الكتابات وما يعتريها من نقص، مما يساعد لاحقا في التحليل والتعليق.

صاحب النص

التعريف بصاحب النص ضرورة منهجية تساعد على تعميق الفهم. والتعريف هو عبارة عن ترجمة مختصرة لحياة صاحب النص مع التركيز على الجوانب المتعلقة بالتكوين، الوظائف التي تقلدها خلال مسيرته، الانتماء السياسي لتحديد نظرة المؤلف للحدث والتي لا تختلف عن التوجهات السياسية أو مدرسته الفكرية لتحديد المنهج والمنهجية المتبعة. كما ينبغي الاشارة إلى المؤلفات مع التركيز على المؤلف الذي اقتطع منه النص.

التطرق إلى حياة صاحب النص يمكن كذلك من معرفة هل المؤلف معاصر للحدث أم أنه عاصر من عاصر الحدث أم استقى معلوماته من مصادر أخرى.

تفيد مختلف هذه المعلومات في التعرف على الظروف المحيطة بكتابة النص. ونورد هنا مثالا وهو الفرق بين المعلومات الواردة في رسائل القنصل الفرنسي لويس دو شينيي التي كتبت في المغرب تزامنا مع مختلف الأحداث والمعلومات

الواردة في كتابه حول المغرب المؤلف في فرنسا سنة 1787 م[1].
ففي إحدى رسائله يصف سيدي محمد بن عبد الله بالإنسانية المفرطة في حين يصفه في كتابه بالجشع. فاختلاف الظروف يؤثر حتما على الكتابة.

السياق التاريخي للنص

في البداية لابد من الاشارة إلى الالتباس خاصة لدى الطلبة بالاستعمال المزدوج للتايرخ الهجري والتاريخ الميلادي. وقد تم وضع جدول مطابقة. بالإضافة إلى الجدول يمكن اعتماد عملية لتحويل التواريخ الهجرية في النصوص العربية إلى التواريخ الميلادية.

يعتمد التقويم الميلادي على السنة الشمسية، في حين أن التقويم الهجري يعتمد على السنة القمرية. وحسب الفلكيين يوجد فرق ثلاث سنوات بين القرن الميلادي (شمسي)

---

[1] كتبت الرسائل والتقارير والمذكرات من طرف لويس دو شينيي عندما كان قنصلا بالمغرب أثناء وقوع الحدث. أما الكتاب فقد تم تأليفه بعد طرده من المغرب من طرف السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1782. ونشر الكتاب سنة 1787.
Chénier, Louis de, Recherches historiques sur les maures et histoire de l'empire du Maroc, 3 vol., Paris, 1787.

والقرن الهجري (قمري)، لذا يقوم التحويل على العمليات الحسابية التالية:

عدد قرون التاريخ الهجري × 3 = ب

مثال: 711 ه. عدد القرون 7 + 11 سنة

7 × 3 = 21 (من 1 سنة إلى 33 نضيف سنة. من 34 س إلى 66 س نضيف 2. من 67 س إلى 99 نحتسبه قرنا)

إذا 7 × 3 = 21 + 1 = 22

1 هجري يطابق 622 م

نخصم 22 من 622 م الموافق ل 1 ه

622 - 22 = 600

نضيف 600 إلى التاريخ الهجري أي 711 ه

600 + 711 =1311

إذا ف 711 ه توافق 1311 م

لإزالة الالتباس ينبغي تحويل التواريخ الموجودة في النص سواء باعتماد الجدول المنجز وفي حالة عدم توفره إجراء العملية المذكورة أعلاه.

يقوم السياق التاريخي للنص على تحديد تاريخ كتابة النص لمعرفة الفارق الزمني بين الكتابة والوقائع المذكورة في النص التاريخي.

التحليل

بعد التقديم نشرع في عملية التحليل. التي تقوم على استخراج جميع الأفكار الواردة في النص، الفكرة الرئيسية والأفكار الثانوية وانجاز شرح تفصيلي للتعريف بالأعلام والأماكن والمصطلحات. وفيما يتعلق بهذه النقطة الأخيرة نورد تعريفا بسيطا، فالمصطلح هو كلمة لغوية يتعدى معناها المعنى اللغوي أي بعبارة أخرى أن المصطلح له مضمون اقتصادي أو اجتماعي أو سياسي. والمضمون ليس سكونيا بل يتغير معناه من فترة لأخرى. مثال: البيعة، رأس المال، الطبقة، وسائل الانتاج....الخ

الفكرة الرئيسية

غالبا ما يشكل النص كلا يضم مجموعة من العناصر تنتظم حول فكرة رئيسية التي هي في الحقيقة موضوع النص. ولهذا ينبغي استخراج الفكرة الرئيسية بعد قراءة متأنية، لأن كل نص يهدف إلى غاية أي يطمع إلى التعبير لغويا عن قصد ظاهري أو باطني. وينبغي صياغتها في جملة واضحة دون إطناب.

الأفكار الثانوية

استخراج الأفكار الثانوية هي عملية تفكيك للنص واكتشاف مكوناته وطريقة الكاتب لتحليل الموضوع المطروح في النص. ولهذا فإن الأفكار الثانوية هي المضمون الحقيقي للموضوع، ومن خلالها يمكن نقد النص والتعليق عليه والتساؤل حول مدى مساهمته في التعريف بالموضوع.

الشرح التفصيلي

تمتلئ النصوص بأسماء الأماكن والأعلام والمصطلحات. والمنهجية المتبعة في التعريف طبقت بامتياز من طرف محققي

المخطوطات، إذ لا يخلو مخطوط محقق من هوامش أنجزت بعد عمليات تنقيب. ويعتمد الشرح التفصيلي على تقنيات وأدوات. وتتمثل الخطوة الأولى في استخراج أسماء الأماكن والأعلام والمصطلحات. أما الخطوة الثانية فتتمثل في البحث باستعمال الدراسات والموسوعات والقواميس والمصادر. وفيما يتعلق بهذه الأخيرة ينبغي الرجوع إلى فهرس الأماكن والأعلام والذي يوجد غالبا في آخر الكتاب.

التعليق

هو عملية نقدية للنص. وأول سؤال يتبادر للذهن حول مدى صحة نسبة النص للمؤلف أي بعبارة أخرى هل النص منحول أم صحيح النسبة للمؤلف؟

فقد أثبتت الدراسات، بما لا يضع مجالا للشك، كثرة الكتابات والنصوص المنحولة سواء في الكتابة التاريخية أو غيرها من أنواع المؤلفات. فقد نسبت نصوص وكتابات لغير أصحابها وتم انتحال أخرى. وفي دراسته حول المؤرخون المغاربة في عهد الدولتين السعدية والعلوية أشار ليفي بروفنصال إلى هذه الاشكالية.

أما فيما يتعلق بالمحتوى فينبغي التساؤل حول صحة المعلومات الواردة في النص. إن عملية تفكيك النص هي استخراج للمعلومات ولمضمون النص. وللتأكد من صحتها ينبغي البحث في المصادر الأخرى وخاصة الوثائق المتوفرة والتي كتبت حين وقوع الحدث.

وفي الأخير لابد من الاشارة إلى مدى مساهمة النص في التعريف بالموضوع وفي الكتابة التاريخية.

IV.نماذج من النصوص التاريخية والوثائق

النص رقم 1

" فقصد أزمور، ونزل حيث عين له الشيخ. ولم يزل مثابرا على الجهاد، شديد الشكيمة على العدو، عارفا بوجوه المكائد الحربية، مقداما في مواطن الإحجام صموتا وقورا ذا بطش شديد. فطار بذلك في البلاد صيته وشاع بين الناس ذكره بما هو عليه من التضييق على العدو الكافر. وفرح بذلك قائد أزمور. ولم يزل على ذلك إلى أن توفي قائد الفحص والبلاد.

فسأل السلطان زيدان بن أحمد المنصور عمن يليق بتولية ذلك الثغر، فقيل له سيدي محمد العياشي. فكتب له بالتولية، فنهض بأعباء ما حمل وبتولية الفحص. وكانت له مع النصارى وقائع عظام، وضيق عليهم أشد تضييق، حتى منعهم من الرعاية والحرث. فبعث نصارى البريجة لحاشية زيدان بالتحف ونفيس الهدايا، ليزيلوا عنهم سيدي العياشي لمضايقته

لهم. فخوفوا زيدان منه، وحرضوه على عزله وأظهروا له أنه مسموع الكلمة في تلك النواحي، وانه يخشى منه على الملك.

وكان سيدي محمد كلما بعث بما يفتح الله عليه من الغنائم والأسارى لمراكش ازدادت شهرته. فوغر بذلك عليه قلب السلطان، وحنق عليه. فبعث له قائده محمد السنوسي في أربعمائة فارس، وأمره بالقبض عليه وقتله. فألقى الله تعالى في قلب القائد المذكور الشفقة عليه، لما يعلم من براءته مما قذف به. فبعث له خفية أن انج بنفسك فإنك مغدور. فخرج سيدي محمد في أربعين رجلا فرسانا ورجاله، قاصدين سلا. فلما بلغ السنوسي أزمور لم يجد له أثرا. فأظهر العناية بالبحث عنه، وعاقب على إفلاته شردمة من أهل الفحص."

محمد الصغير الافراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1998. ص.381-382

I. التقديم

1.نوعية النص: كتابة تاريخية تقليدية

2.صاحب النص

هو أبو عبد الله محمد بن الحاج محمد بن عبد الله الافراني الملقب بالصغير. يرجع أصله إلى قرية إفرن بسوس والتي كانت مركزا تعليميا مرموقا خلال القرن السابع عشر. هاجر والده من سوس في تاريخ غير معلوم واستقر بمدينة مراكش وبها ولد محمد الافراني سنة 1080ه/ 1670 م.

وبهذه المدينة الأخيرة تلقى تعليمه على الفقيه أحمد بن علي السوسي المتوفى سنة 1130ه/1717 م. ثم انتقل إلى فاس ليكمل دراسته بجامع القرويين، ودرس على يد كبار علماء الجامع ومنهم عبد الحي الحلبي ومحمد بن عبد الرحمان ابن عبد القادر الفاسي.:كما درس كذلك على يد محمد المسناوي الدلائي.

رجع الافراني إلى مسقط رأسه مراكش سنة 1717 م. وأصبح مدرسا للتفسير والحديث. وكانت دروسه تثير كثير من

الأسئلة والجدال، مما دفع البعض إلى اتهامه بالزندقة. فازدادت شهرته خاصة بعد المناضرات مع كبار علماء المدينة. وتم نفيه من مراكش.

غادر الافراني مراكش مكرها وتجول بمختلف مناطق المغرب إلى أن استقر به المطاف في الزاوية الشرقاوية بابي الجعد والتي كان شيخها آنذاك محمد المعطي بن محمد الصالح وأصبحت العلاقة متينة بين الرجلين. ثم رجع إلى مراكش حيث زاول الخطابة والامامة بمسجد ابن يوسف.

حسب عبد اللطيف الشاذلي، محقق كتاب نزهة الحادي توفي الافراني بين 28 شعبان 1154ه (18 مارس 1742) و4 جمادى 1157ه(17 أبريل 1745) ودفن بمسقط رأسه.

يعتبر الافراني من الشخصيات الفكرية بالمغرب خلال القرن السابع عشر. وأجمعت الدراسات على غزارة معرفته كما يظهر من خلال مؤلفاته ومسيرته. وأشار ليفي بروفونصال إلى أن الافراني عمل بالبلاط الاسماعيلي مما مكنه من الاطلاع على مجموعة من الوثائق وظفها في مؤلفاته حول تاريخ المغرب خلال هذه الفترة.

ألف الافراني العديد من الكتب من بينها صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر ودرر الحجال في مآثر سبعة رجال والمعرب في أخبار المغرب، والافادات والانشادات وطلعة المشتري في ثبوت تواب الزمخشري وفتح المغيث بحكم اللحن في الحديث والظل الوريف في مفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف وأخيرا كتاب نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي.

ألف الافراني كتاب النزهة سنة 1139ه/1726 م. وكان يرغب من خلال هذا التأليف السير على نهج المؤرخين السابقين لملء الفراغ التاريخي بالتطرق لتاريخ الدولتين السعدية والعلوية. وخصص الافراني اغلبية فصول الكتاب للسعديين وركز أساسا على فترة أحمد المنصور الذهب، فوصف الادارة المركزية وحملات الذهبي العسكرية وسياسته الجبائية...الخ

3.السياق التاريخي للنص

توجه العياشي إلى دكالة بعد وفاة أحمد المنصور السعدي واندلاع الصراع بين أبنائه. وتزعم العمليات الجهادية ضد البرتغاليين المحتلين لمازاكان من سنة 1604 إلى سنة 1615، تارخ عودته إلى الغرب أما تاريخ كتابة النص فيعود إلى سنة

1726، مما يدل على أن الافراني اعتمد في هذه الرواية على المصادر السابقة.

II. التحليل

1. الفكرة الرئيسية: تزعم أبي سالم العياشي للحركة الجهادية بدكالة والغرب وتوتر العلاقات مع المولى زيدان.

2. الأفكار الثانوية

-انتقال العياشي إلى أزمور للجهاد ضد البرتغال وانتشار صيته

-تولية العياشي قائدا على أزمور من طرف المولى زيدان

- تحريض البرتغاليين للمولى زيدان ومحاولة اغتيال العياشي من طرف السلطان السعدي خوفا من منافسته

3. الشرح التفصيلي

- **محمد العياشي**

ينحدر محمد بن أحمد المالكي الزياني من قبيلة بني مالك في الغرب. ولد سنة سنة 980ه/ 1573م. ابتدأ العياشي مشواره التعليمي في مسقط رأسه حيث تعلم القراءة والكتابة. ثم انتقل إلى سلا فلازم الشيخ عبد الله بن حسون وأخذ عنه العلم والتصوف. انتقل إلى دكالة للجهاد بين سنة 1604 و 1615. ثم رجع إلى سلا وتم اغتياله بمنطقة الغرب في ظروف غامضة سنة 1641.

- **الشيخ**

يقصد الافراني بالشيخ أبو محمد عبدالله بن أحمد بن الحسن الخالدي السلاسي المشهور بابن حسون. ولد سنة 920ه/ 1515 م. ويرتبط نسبه بالجزولي. كان بن حسون أحد أقطاب الطريقة الشادلية. عندما استقر بسلا تعاطى للتدريس، وكانت له علاقات مع أحمد المنصور الذهبي. شارك في معركة واد المخازن. كان العياشي من بين تلامذته المقربين وحسب المصادر حثه على الجهاد وطلب منه الذهاب لدكالة للقيام بالعمليات

ضد البرتغال. توفي عبد الله بنحسون سنة 1013ه/1604م ودفن بمدينة سلا.

-المولى زيدان

حسب المؤرخين كان المولى زيدان أعلم أبناء أحمد المنصور حيث حفظ القرآن ودرس على يد كبار علماء الفترة. وبما أن المامون كان أكبر أبناء أحمد المنصور فقد عين خليفة لأبيه سنة 1579 ثم جدد له التعيين سنة 1584 في حين عين المولى زيدان حاكما علة منطقة تادلا حيث بنى بهذه الأخيرة قصبة حملت اسمه، القصبة الزيدانية.

بعد وفاة والده سنة 1603 بايع سكان فاس المولى زيدان وبايع أهل مراكش أبا فارس واندلع الصراع بين الاخوة حول السلطة وانضاف إليهم المامون. وانقسم المغرب إلى مملكتين حيث استقر زيدان بمراكش.

مني زيدان بمجموعة من الهزائم اضطر على إثرها إلى الفرار.ومنها هزيمته أمام اللائيين في معركة بوعقبة على واد العبيد. استقر زيدان بمراكش إلى أن وافته المنية سنة 1627.

- العدو

يقصد بالعدو البرتغاليين الذين قاموا باحتلال عددا من المدن المغربية.

- أزمور

أزمور لفظ أمازيغي يطلق على شجرة الزيتون البري ويسمى أيضا الزبوج. توجد أزمور بمنطقة دكالة، المنطقة الفلاحية الغنية ذات الانتاج الوفير خاصة من الحبوب. وتقع أزمور على الضفة اليسرى للنهر عند مصب أم الربيع. ويوجد بها ضريح الولي أبي شعيب أيوب السارية المتوفي سنة 564ه/1166 م. كانت أزمور أكبر مدينة بدكالة حيث وصل تعداد سكانها حسب الحسن بن محمد الوزان 5000 ن. تم احتلال المدينة من طرف البرتغاليين. ولكنهم اضطروا بفعل العمليات الجهادية إلى إخلائها سنة 1541 والاكتفاء بمدينة مازاكان (الجديدة).

- البريجة

خلال العصور الوسطى كانت البريجة تعرف باسم مازيغن. وهو الاسم الذي ورد في الخرائط الأوروبية مع بعض التحريف مازاكانMazagan . وكانت مازاكان عبارة عن قرية صغيرة يتعاطى سكانها لصيد السمك. ولهذا لم يتحدث عنها الحسن بن محمد الوزان رغم إطنابه في وصف أزمور القريبة منها. ومنذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر كانت السفن البرتغالية ترسوا قبالة مازاكان لشراء الحبوب.

احتل البرتغاليون مازاكان سنة 1504 لملائمة مينائها لرسو السفن الكبيرة عكس أزمور ذو الحواجز الرملية عند المصب. كان يوجد بالمدينة برج صغير ولذا سميت بالبريجة.

عندما أخلى البرتغاليون أسفي وأزمور حصنوا مدينة مازاكان حيث أحاطوها بسور ضخم وعدد من الأبراج. وظلت المدينة تحت الاحتلال إلى أن حررها سيدي محمد بن عبدالله سنة 1769. قبل الانسحاب قام البرتغاليون بتفخيخها مما أحدث خرابا كبيرا ولذلك سميت بالمهدومة.

- سلا

على ضفتي أبي رقراق يوجد مدينتان: الرباط على الضفة اليسرى للنهر وسلا على الضفة اليمنى. ولكن خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر كان يوجد على الضفة اليسرى ثلاثة تجمعات: شالة، مدينة الرباط وقصبة الودايا. وكانت مدينة الرباط تسمى بمدينة سلا. فلويس دو شينيي، القنصل الفرنسي بالمغرب(1767-1782) كان يستعمل في مراسلاته سلا والتي هي الرباط مقر سكناه. ولهذا ينبغي التمييز بين سلا الموجودة على الضفة اليمنى وسلا أي الرباط الموجود على الضفة اليسرى. فيما يتعلقب مدينة سلا فقد وجدت قبل مجيئ الرومان. وخلا عهد الرومان شكلت سلا/ شالة الحد الجنوبي لموريطانيا الطنجية وامتدت على ضفتي أب رقراق. وبعد الفتح الاسلامي أصبحت مقرا لامارة ادريسية.

أما مدينة الرباط فقد أسست في السنوات الأخيرة من القرن الثاني عشر من طرف السلطان يعقوب المنصور الموحدي. بعد سقوط غرناطة وطرد المسلمين من الأندلس توسعت المدينة لوصول موجات من المهاجرين والذين لعبوا دورا رئيسيا

في الأحداث التي عرفها المغرب خلال النصف الأول من القرن السابع عشر حيث استقلت المدينة عن السلطة السعدية ونظم الأندلسيون الجهاد البحري وخاصة ضد السفن الايبيرية. فاحتلت المدينة المكانة الرابعة بعد الجزائر وتونس وطرابلس. واعترفت بسلطة العياشي ثم سلطة الدلائيين.

-وادي المخازن

يقع في الشمال الغربي لمدينة العرائش وهو أهم روافد واد لكوس. اشتهر تاريخيا بالمواجهة التي وقعت بين السعديين والبرتغاليين والمعروفة بمعركة واد المخازن أو معركة الملوك الثلاث. فقد وقعت المعركة في المنطقة الواقعة بين القصر الكبير والعرائش وأصيلا يوم 4 غشت 1578 قتل فيها ثلاثة ملوك: دون سبسطيان والمتوكل وعبد الملك.

- المعمورة

اكتسبت المعمورة أهمية تجارية خلال القرن السادس عشر. فقد تردد إليها التجار باعتبارها المنفذ الطبيعي لسهل الغرب الغني، خاصة وأن ميناءها ملائم للملاحة. اتجهت

الأطماع البرتغالية صوب المعمورة التي تم احتلالها سنة 1515. ولكن لم يطل مقام البرتغال بالمدينة. أصبحت المعمورة مركزا للجهاد البحري (القرصنة). ونظرا لما سببه المجاهدون من خسائر للاسبان وجهت هذه الأخيرة أسطولا نحو المعمورة في 18 غشت سنة 1611 لاغراق ثماني سفن عند مصب محملة بالحجارة عند مصب النهر، ولكن المهمة فشلت. وتمكنت القوات الاسبانية من احتلال المعمورة في غشت سنة 1614

- الغرب

ابتداء من القرن السادس عشر كثر ذكر اسم الغرب في المصادر التاريخية. ففي عهد السعديين كانت منطقة الغرب تابعة لفاس حيث ولى أحمد المنصور الذهبي ابنه واليا على فاس والغرب. وفي بداية عهد الدولة العلوية كان المولى اسماعيل خليفة لأخيه المولى الرشيد على فاس ومكناس والغرب. ويقطن المنطقة عددا من القبائل بني مالك وسفيان وبني حسن والخلط وطليق. إلا أن حدود الغرب لم تكن مستقرة، فقد عرفت عدة تغيرات موازاة مع التقسيمات

المخزنية المتغيرة بدورها. وفي بداية القرن العشرين أصبحت كلمة الغرب تطلق على جزء من حوض واد سبو

III. التعليق

كان أول اتصال للعياشي بدكالة حينما وجهه شيخه عبد الله بن حسون إلى تلك المنطقة سنة 1012ه/ 1604 م، آذنا له بالجهاد بعد أن تضرر السكان من عمليات البرتغال المحتلين للبريجة. وتنفرد نزهة الحادي بتفصيل الكيفية التي فارق بها العياشي أستاذه متوجها إلى دكالة. فتقول أن بعض أشياخ القبائل أهدى إلى بن حسون فرسا فأهداه للعياشي وأمره بالذهاب إلى أزمور للجهاد.

كانت الجديدة أقرب النقط الصالحة للجهاد في وقت كانت فيه العرائش والمعمورة غير خاضعتين للأجانب، وفي وقت كانت فيه طنجة وسبتة بعيدتين عن سلا، وفيهما على أية حال من يقوم بوظيفة الجهاد من أمثال أبناء النقسيس.

وصل العياشي إلى دكالة سنة 1604 ، واستمر مقامه بها إلى سنة 1615. وخلال هذه الفترة قام بمجموعة من

العمليات العسكرية أكسبته شهرة في مجموع مناطق المغرب، مما دفع المولى زيدان إلى تعيينه قائدا على المنطقة، فازدادت شهرة العياشي. وحسب المصادر، وخوفا على ملكه أمر زيدان باغتيال العياشي بايعاز من البرتغال. إلا أن روايات تاريخية أخرى أوردها الزياني والناصري تشير إلى أن مغادرة العياشي لأزمور كانت بأمر من زيدان.

أورد الافراني في النزهة حول العياشي معلومات تاريخية لا توجد في المؤلفات الأخرى. وبهذا ساهم في التعريف بالحركة العياشية بذكر تفاصيل حول ظروف وأسباب تنقلات العياشي وعملياته الجهادية وعلاقته بالمخزن السعدي.

النص رقم 2

" كان مولاي الشريف ممن يشار غليه بأقاليم الصحراء كلها. فقصده أهل سجلماسة في القيام بأمرهم والدب على بلدهم حيث بلغهم قيام محمد ولد الحاج الدلائي واستيلاؤه على تادلا وجبل درن وبلغ إلى نهر ملوية عام 1041 والسلطان بمراكش على لهوه. وفي هذا العام ولد المولى رشيد وبايع أهل الصحراء مولاي الشريف، وكان يدافع على بلادهم ويقهر ظالمهم ويمهد سبلهم.

فخالفه أهل تبعصامت ووجهوا رسلهم إلى محمد بن الحاج الدلائي صاحب جبل درن، فوعدهم بالقدوم لبلدهم. ولما بلغ ذلك مولاي الشريف توجه يستصرخ بعلي أبي حسون الثاير بأرض السوس. ولما بلغ خبره لأهل تبعصامت وجهوا رسلهم يستنصرون بمحمد الحاج، فكتب لعلي أبي حسون وناشده الله أن لا يحارب أهل تبعصامت لأنهم شيعته. ولما نزل علي أبو حسون على تبعصامت وقرأ كتابه لم يحاربهم، وخرجوا إليه بما يحتاج إليه مما لا بد منه من المونة والزاد وأعطوه مالا ورجع عنهم.

ولما كان عام 1033 حرك محمد الحاج إلى نواحي الصحراء وبلغ قصر السوق. فوجه له مولاي الشريف جماعة من الأشراف ووعظوه وحذروه عاقبة البغي وعرفوه بما يجب عليه من حقوق أهل البيت وتعظيمهم، فاتعظ وشرط عليهم شروطا يتركها لهم مولاي الشريف. وهي أماكن بالصحراء ويتجافى له عنها من جملتها تبعصامت بسجلماسة وقلميمة بغريس وقصر السوق بمدغرة، ووقع الصلح ورجع.

ولما كان عام 1035 خلع نفسه مولاي الشريف وتخلى لأهل سجلماسة عن ولايتهم وقال لهم ولوا من شئتم في هذه الولاية خوفا من معصية الله. فقام بأمرهم ولده مولاي محمد وكان أكبر أولاده وبايعه أهل الصحراء كلهم. فلما بلغ ذلك محمد الحاج قصده لسجلماسة، وكان أكثر منه عصبية، فتوسط بينهما الأشراف في الصلح على الشرط المذكور."

أبي القاسم أحمد الزياني، الخبر عن أول دولة من دول الأشراف العلويين من أولاد مولانا الشريف بن علي، نشر وترجمة هوداس، باريس، 1886. ص.1-3

I. التقديم

1. نوعية النص: كتابة تاريخية تقليدية

2. صاحب النص

هو أبو القاسم بن أحمد بن علي بن ابراهيم الزياني، ولد بفاس سنة 1147ه/ (1734-1735 م) ، أصله من قبيلة زيان إحدى القبائل الكبرى بالأطلس المتوسط والتي لعبت أدورا تاريخية طلائعية خاصة في بداية القرن العشرين بزعامة موحا وحمو الزياني أثناء مواجهة الفرنسيين.

استقدم جده الفقيه من أدخسان إلى مكناس من طرف المولى اسماعيل واتخذه إماما. لما توفي علي بن ابراهيم انتقل ابنه أحمد ليستقر بفاس. وبهذ المدينة الأخيرة ولد الزياني. درس أبو القاسم بفاس حسب المنهج التعليمي السائد خلال هذه الفترة. فاشتغل بطلب العلم بجامع القرويين ومدرستي الصهريج والعطارين. وأخذ عن كبار علماء الفترة.

بعد وفاة المولى اسماعيل وانتشار الحروب والفوضى، باع أب الزياني ممتلكاته بفاس وهاجر إلى الشرق. فتوجهوا إلى

القاهرة. وللسفر للديار المقدسة ركبت العائلة سفينة غرقت في عرض البحر فضاعت جميع ممتلكاتهم.

وبعد رحلة شاقة رجعوا إلى المغرب الذي استقرت به الأوضاع بعد تولية سيدي محمد بن عبد الله سنة 1757 م. والتحق أبو القاسم بالبلاط المخزني ككاتب. وبحكم معرفته بالأمازيغية كلفه سيدي محمد بن محمد بن عبد الله بالمنطقة الوسطى للأطلس موطن اتحادية آيت أومالو. وحقق نجاحا في التفاوض مع القبائل لضمان خضوعها للمخزن. وبعد هذا النجاح أسند إليه سيدي محمد مهمة التفاوض مع القبائل البربرية. ورافق السلطان أثناء تنقلاته. وكلف كذلك بمهام عسكرية ومنها الاشراف على تسليح الثغوروالتجنيد.

وفي سنة 1200ه/1786 م أرسله السلطان سفيرا لدى السلطان العثماني. واستغرقت إقامته في تركيا ما يقارب الثلاثة أشهر. ثم عينه السلطان عاملا على تازة. وبعد قضاء سنة في المنصب تقلب في عدة مناصب منها الاشراف على تدريب الجنود ثم واليا على تافيلالت وهو المنصب الذي استمر فيه إلى

غاية وفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الله يوم 24 رجب 1204ه/21 أبريل 1790 م.

ألقي القبض على الزياني وزج به في السجن في عهد المولى اليزيد. اخرج من السجن وكلف بمهام مخزنية ولكن ما لبث اليزيد أن اعتقله للمرة الثانية وعذبه. وبقي أبو القاسم في السجن إلى وافت المنية اليزيد.

كان المولى سليمان على علم بكفاءة الزياني. فعينه السلطان واليا على وجدة. وفي الطريق تمت مهاجمتهم من طرف القبائل العربية ونهبهم. فقرر اعتزال الوظائف المخزنية والسفر. فتوجه إلى وهران ثم إلى تلمسان. ومن هنا إلى الشرق.

عاد الزياني إلى المغرب بعد عدة محن في سفره. ورفض الولاية على العرائش، ولكن كلفه السلطان بتفتيش الموانئ. ثم تولى الكتابة والوزارة والحجابة. وأبعد عن المنصب بمؤامرة من بعض رجال المخزن. توفي الزياني سنة 1230ه/1815 م.

من بين أهم مؤلفات الزياني الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب، وهو تاريخ عام من بدء الخليقة إلى القرن التاسع عشر وقد انتهى منه سنة 1813.

3. السياق التاريخي للنص

ألف الزياني كتابه الترجمان المعرب حوالي سنة 1813. وخصص مجموعة من الفصول لتاريخ الدولة العلوية التي ظهرت بمنطقة تافيلالت سنة 1631. واعتمد الزياني فيما أورده من معلومات على المصادر السابقة ومن بينها نزهة الحادي للافراني.

II. التحليل

1.الفكرة الرئيسية

بيعة العلويين بتافيلالت والتدخل الدلائي السملالي.

2. الأفكار الثانوية

مكانة مولاي الشريف

التهديد الدلائي وبيعة مولاي الشريف

رفض بنو الزبير لسلطة العلويين

تدخل الدلائيين والسملاليين بعد استنجاد الطرفين

الصراع بين الدلائيين والعلويين

تخلي مولاي الشريف عن السلطة لابنه

3. الشرح التفصيلي

-مولاي الشريف

هو مولاي الشريف بن علي بن محمد الحسني. ولد سنة 997ه/1589 م بتافيلالت، وكان يتمتع بنفوذ كبير وسط السكان. بويع مولاي الشريف من طرف سكان المنطقة سنة 1040ه/ 1631 م. تنازل لابنه المولى محمد عن السلطة سنة 1636. تم اعتقاله من طرف أبي حسون السملاي سنة 1047ه/ 1638 م. وزوجه بسيدة تدعى مباركة المغافرية وهي أم المولى اسماعيل. أطلق سراحه سنة 1051ه/1641 م. توفي سنة 1959 ودفن بزاوية سيدي بوزكري بتافيلالت.

- محمد ولد الحاج الدلائي

ولد محمد بن أبي بكر حولي 667ه/1559م، حفظ القرآن الكريم و تتلمذ على يد والده ثم العلماء الوافدين على الزاوية حيث كانت من أهم المراكز العلمية في المغرب خلال النصف الأول من القرن السابع عشر. انتقل إلى فاس لاتمام تعليمه ثم تجول في مختلف مناطق المغرب حيث التقى بكبار الشيوخ مثل عبد الله بن حسون في سلا ومحمد الشرقي بأبي الجعد.

بعد زيارته للشرق رجع إلى الدلاء سنة 1012ه/1604م ومارس التدريس في الزاوية.عندما توفي أباه سنة 1021ه/1612م خلفه على رأس الزاوية التي أصبحت مركزا تعلميا وخيريا. ونظرا للفراغ السياسي الناجم عن تدهور السلطة السعدية أخضع لسلطته الأطلس المتوسط ومنطقة تادلا. توفي محمد بن أبي بكر في الدلاء في 11 رجب 1046ه/دجنبر1636م.

- المولى رشيد

بعد وفاة مولاي الشريف سنة 1659 غادر المولى رشيد تافيلالت وتجول في مختلف مناطق المغرب حيث زار الزاوية الدلائية ومدينة فاس. بحثا عن التأييد والوسائل المادية لانتزاع السلطة. ثم توجه إلى المنطقة الشرقية وصادر ممتلكات بعض العائلات اليهودية بتازة. وبالمغرب الشرقي تمكن من تجنيد الشراكة ودخل في مواجهة مفتوحة مع أخيه المولى محمد الذي قتل في الاشتباك الأول. تمكن المولى رشيد من اخضاع المنطقة الشرقية ومنطقة الريف لسلطته. وتمكن بواسطة هذه الامكانيات المالية والعسكرية من السيطرة علة فاس ومراكش والقضاء على الدلائيين والسملاليين فأصبح الحاكم الوحيد للبلاد. توفي المولى رشيد سنة 1672 وخلفه أخاه المولى اسماعيل.

-علي أبي حسون

ينتمي أبي حسون إلى عائلة بودميعة في جنوب المغرب بتازروالت. استمدت الأسرة شهرتها من الانتماء إلى أشهر صلحاء منطقة سوس الشيخ سيدي أحمد او موسى الذي عاش في القرن السادس عشر ويوجد ضريحه بتازروالت. اكتسبت الأسرة نفوذا سياسيا بعد انهيار السلطة السعدية حيث شكل

أبي حسون السملالي كيانا مستقلا اعتبره البعض مملكة عاصمتها اليغ. توفي أبي حسون سنة 1659.

- مولاي محمد

تولى مولاي محمد السلطة سنة 1636. عمل المولى محمد على السيطرة على تافيلالت ودرعة بابعاد الدلائيين والسملاليين. وبعد التحكم في هاتين المنطقتين فشل في السيطرة على فاس والنطقة الشرقية. قتل المولى محمد في معركة مع أخيه الرشيد سنة 1664.

- سجلماسة

حسب الحسن بن محمد الوزان بنيت مدينة سجلماسة من طرف قائد روماني وسماها سجلوم مبسي وهو الاسم الذي تحول إلى سجلماسة. وتضاربت الآراء حول أصل ومعنى الكلمة. أما العربي مزين فقد خلص في دراسته بأن سجلماسة اسم أمازيغي مركب من كلمتين سيك الذي يعني فوق و الماس الذي يعني الماء، وبهذا فإن معنى سجماسة هو المكان المشرف على الماء.

كان اسم سجلماسة يطلق على المدينة التي بنيت في بداية القرن الثامن الميلادي واشتهرت كمركز تجاري بين المغرب والسودان، بل كانت عاصمة للذهب في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط. ومع تدهور التجارة القفلية اندثرت سجلماسة في آواخر القرن الرابع عشر. وغادرها السكان وتفرقوا بالقصور. فأصبح اسم سجلماسة مرادفا لاسم تافيلالت.

- تادلا

بحكم موقعها الجغرافي في وسط المغرب ومجاورتها للأطلس المتوسط وتنوعها الاثني انفردت تادلا بشخصية ميزتها عن باقي المناطق الأخرى. واكتسبت أهمية استراتيجية وتاريخية بحكم مرور الطريق الرابط بين العاصمتين التقليديتين فاس ومراكش.

خلص محمد البشير بوسلام في دراسته حول قبيلة بني ملال إلا أن تادلا التاريخية تتكون من ثلاث وحدات جغرافية، لكل واحدة منها خصائص طبيعية واقتصادية: منطقة دير الأطلس المتوسط قبل، السهول الرسوبية الممتدة على ضفتي واد أم الربيع والتي تسمى بتادلا السفلى والهضاب الشمالية

والشمالية الغربية المسماة بتادلا العليا وسكانها بالرتميين أو اهل رتمة. ويستوطن تادلا 16 قبيلة ما بين عربية وبربرية وقبيلتين مستعربتين: سمكط وكطاية.

- جبل درن

يقصد بدرن جبال الأطلس الكبير الممتدة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي. ويفصل بين السهول الأطلسية والمناطق الصحراوية. وعند التقائه بالأطلس المتوسط يحمل تسمية الأطلس الأوسط. واختلفت الدلالة بين المؤرخين حيث يقصدون أحيانا بدرن الأطلس الكبير وأحيانا اخرى الكبير والمتوسط.

- ملوية

ينبع واد ملوية من عتبة أغبالة في الأطلس المتوسط، موطن آيت سخمان، ويتجه باتجاه البحر الأبيض المتوسط فاتحا ممرا وسط السلسلة الجبلية. يبلغ طوله 600 كلم. يخترق ملوية انطلاقا من وطاط الحاج المنطقة الشرقية. وعبر هذا

المسلك تقدم الدلائيون بحكم تبعية القبائل لسلطتهم إلى المنطقة الشرقية مهددين تافيلالت

-مراكش

شيدت مراكش على يد يوسف بن تاشفين سنة 1070، واتخدها المرابطون عاصمة لهم. ومع تنامي قوة الامبراطورية المرابطية أصبحت مراكش مركزا ثقافيا وسياسيا في العالم الاسلامي. بعد استتباب الأمر للموحدين بعد استيلائهم على المدينة، اتخذوها عاصمة لهم كذلك وبنوا عدة معالم: الأسوار، مسجد الكتبية ومجموعة من الحدائق. إلا أن المرينيين فضلوا فاس على مراكش. ولم تستعد مراكش مكانتها إلا في عهد السعديين. ورغم اختيار ملوك الدولة العلوية لفاس ومكناس وفيما بعد الرباط كمقرات للحكم ظلت مراكش عاصمة للجنوب يتردد عليها السلاطين.

-تبعصامت

قصر من قصور تافيلالت يوجد على مقربة من واد زيز حيث يستغل سكانه مياه النهر لسقي بساتين النخيل ومختلف

الزراعات. يقطنه بنو الزبير الذين كانوا قد خضعوا قبل سنة 1631 لسلطة أبي حسون السملالي. ولكن بعد بيعة مولاي الشريف من طرف سكان المنطقة رفض بنو الزبير سلطته مما أدى إلى اندلاع تحالفات بيت بنو الزبير والعلويين والدلائيين والسملاليين.

-السوس

يحدد الحسن الوزان سوس فيما وراء جبل درن: "ناحية سوس الواقعة وراء الأطلس إلى جهة الجنوب المقابلة لبلاد حاحة أي في أقصى افريقيا. تبتدئ غربا من المحيط وتنتهي جنوبا في رمال الصحراء وشمالا في الأطلس عند حدود حاحا وشرقا عند نهر سوس الذي سميت به هذه الناحية" (الوزان، وصف افرقيا...ص.113). خلال القرن الثامن عشر كانت سوس تطلق على المنطقة الممتدة من الأطلس الكبير الغربي إلى مدينة نول في الجنوب على أبواب الصحراء.

-دادس

يعتبر واد ومنطقة دادس منطقة اتصال وعبور بين تدغة وتافيلالت شرقا ودرعة جنوبا وسوس غربا والأطلس الكبير شمالا. ويعتبر البيدق أول من ذكر اسم دادس في مؤلفه، كما ورد ذكره عند التادلي المعروف بابن الزيات وعند الحسن الوزان. يقطن دادس عددا من القبائل من بينهم آيت عطا الذين تسربوا إلى المنطقة واستقروا في عالية الوادي.

-غريس

من بين الوديان الرئيسية المنحدرة من مرتفعات الأطلس الكبير الشرقي في اتجاه النطاق الصحراوي جنوب واحة تافيلالت. ينبع غريس من أسيف ملول جنوب هضبة البحيرات. ومن روافده واد تدغة وفركلة. استغل السكان مياه غريس لسقي المزروعات. وسميت المنطقة المجاورة لتافيلالت باسمه.

-قصر السوق (الراشدية)

يوجد قصر السوق بمنطقة تافيلالت التي يخترقها واد زيز ذو المياه الوافرة. ولهذا انتشرت القصور على ضفافه

والزراعات المسقية وأشجار النخيل. استوطنت المنطقة مند القديم، وكانت تمر عبرها إحدى الطرق التجارية الهامة الرابطة بين المغرب والسودان. ومن هنا الأهمية الاستراتيجية للمنطقة والصراع بين مختلف الكيانات للسيطرة عليها ومنها الصراع العلوي الدلائي.

III. التعليق

بايع سكان تافيلالت مولاي الشريف سنة 1631 مع تدهور الأوضاع ونتشار الفوضى للصراع بين أبناء أحمد المنصور الذهبي. عرف مولاي الشريف بالتقوى والصلاح.

تمكن ابي حسون السملالي من السيطرة على منطقة تافيلالت لأهميتها الاستراتيجية. وحسب المصادر فرض على السكان ضرائب ثقيلة جعلتهم يستغلون فرصة رجوعه إلى سوس سنة 1629 لمبايعة العلويين لصد أطماع الكيانات المجاورة، الدلائيين والسملاليين.

إلا أن بنو الزبير رفضوا سلطة مولاي الشريف، فاندلعت سلسلة من التحالفات بين العلويين والدلائيين

والسملاليين. وفي خضم هذا الصراع تخلى مولاي الشريف عن السلطة لابنه مولاي محمد الذي تمكن من بسط سيطرته على مجموع تافيلالت. في حين تمكن أبوحسون من إلقاء القبض على مولاي الشريف الذي أطلق سراحه سنة 1641.

تمكن المولى محمد من إبعاد التهديد السملالي، حيث خاض أنصار المولى محمد صراعا ضد أنصار أبي حسون السملالي في درعة إلى أن تمكنوا من إجلائهم عنها.

فأصبح الصراع ثنائيا بين العلويين والدلائيين، ومر هذا الصراع بمراحل انتهى بالقضاء على الزاوية الدلائية وتوحيد المغرب.

النص رقم 3

نص رسالة من السلطان المولى اسماعيل إلى العالم محمد بن عبد القادر الفاسي

" محبنا في ذات الله العلامة الأجل الخير البركة السيد محمد بن الشيخ البركة السيد عبد القادر الفاسي أمدكم الله بتوفيقه وأعانكم على سلوك سبيل الحق وطريقه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته عن الخير والبركة والعافية ونعم الله السابغة الصافية لله الحمد وله المنة.

أما بعد، فإنه لا يخفى على كريم علمكم ولا يعزب عن ثاقب فهمكم ما اقامنا الله فيه من هذا المنصب الذي أقامنا فيه، وطوقنا من حمل أعباء هذه الخلافة. ولله المنة تفضلا منه على عبده، نسأله تعالى أن يرزقنا المعونة على ما فيه أقامنا. وقد علمتم حفظكم الله أن هذا الأمر لا بد له من ناموس يحفظه ويكون له عونا وحصنا وهو اتخاذ الجند الذي هوعدة

الله في أرضه، وبه حماية بيضة هذه الأمة، به تشحن ثغورها وتأمن ويرتدع غاويها.

ولا يخفاكم أهل المغرب وما كانوا عليه من تناسي الخلافة وتقلص ظل المملكة. ولما طوق الله بنا هذا الأمر ورزقنا عليه المعونة نظرنا في الجند الذي عليه مدار اساس الخلافة وبه قوامها. فما وجدنا مدنية فيها عصبية ولا قبيلة فيها حمية تطوق أعناقها هذا الطوق وتتقلد هذه الربقة.

فمدينة فاس لا نحتاج أن نخبرك بها ولا أن ننهي عليك حالها، تشكت من الضعف كثيرا حتى انا إن أردنا أن نخرج منها الفين أو ثلاثة آلاف لا يساعدون عليه، ويزعمون أنهم لا يقدرون على الوصول لهذا العدد. ولا ينسبون إليه. ولولا ما جبلنا عليه من الحياء وأحببنا أن نبحث فيه لما قصروا عن العدد المعروف لهم قبل في أيام أخينا المولى الرشيد رحمه الله.

كان من بعض قواده عمر الحماضي الذي شم لخدمة المخزن ولقيادة الجيش بعض الرائحة. وكان أخوك السيد عبد الرحمان رحمه الله كلمه في بعض من لاذ به من أقاربه ومعرفه ورغبه في إسقاطه عن ديوان الرماية فامتنع له كل الامتناع، وأبى

أن يقبل له شيئا من الاستشفاع، وقال له والله ان لم تتركني من هذه الشفاعة حتى أعطيك أنت مكحلتك. فبلغت قالته مولاي رشيد الذي كان لا يسمح في شيء من أمر الجند، وأعجبته كثيرا وضحك منها كثيرا.

ونحن لما جبلنا الله عليه من الحياء الذي هو والحمد لله شعبة من شعب الايمان حين رأينا أهل فاس بالرماية وبخدمة الجند تكاسلوا وادعوا الضعف وآثروا الراحة على غير أن الراحة إنما هي في الدخول تحت سلطتنا. غفلنا عنهم ونظرنا في غيرهم من المدن والقرى والقبائل... فيهم غناء ولا قابلية لشيء. والوصفان من النجدة والحزم والقابلية والصبر ما ليس في غيرهم من الأحرار...

فاستخرنا الله تعالى وتقدمنا...جندا وحصنا...واخماد نيران الفتن بين المسلمين...واقتنينا منهم جندا بمجرد اجتماعهم من وسط قبائلهم وإدخالهم في ديوان جند الجيش، يصبر على ذلك طاقته وجهده وهو مع ذلك لا ينسى بلده الذي خرج منه و...معه ما قدر عليه من الماشية أو الحراثة، ولا ينقطع تشوفه عن معهده. وحين يجد تراخيا من هذا الضبط الذي هو عليه أو

فلتة لا يحبسه عنها شيء، ويترك ما دخل فيه من ديوان المسلمين ويقصد قبيلته، فاما أن يضرم عليها نارا حين يقع البحث عليه، إما يبقى نسيا منسيا بعد أن اكل من بيوت أموال المسلمين ورواتبهم العدد الكثير.

فرأينا من توفيق الله تعالى أن الأليق بهم والأحوط لهم والأنفع من اخراجهم عن الوعيد الوارد فيهم من والى قوما من غير إذن مواليه إلى آخر الحديث على قائلة أفضل الصلاة والسلام، هو شراء جميع من ملكه الشرع منهم؟. التحري لأمر أوجب ذلك من... التسري وفي هذا الشراء والحمد لله كما لايخفى عن سيادتكم سر كبير. وقد رزقنا الله فيه، وله المنة سهولة. ومن علامة الاذن التيسير، ورأينا هؤلاء طلبة الوقت مقصرين عن الخوض معنا في هذا الفن تقصيرا، ادى بهم على التشكيك، ولم يزيدوا على كثرة البحث منا والتنقير عن أصول هذا الفن لمسائله والاستيعاب لفروعه وتعريف مفصله من مجمله إلا نفورا. وشكا مع تحققنا انا والحمد لله على جادة قويمة، موفقون من الله تعالى، سالكون طريقا مستقيما، نفوسنا مطمئنة وقلوبنا ساكنة. لم يزدنا كشف الغطاء بقبولهم ذلك وتصحيحهم له قبولا ولا قوى لنا تغافلهم عنه أو تقولهم فيه

تشكيكا. الا انا نظرنا في أمرهم، فرأيناهم لا ينطقون بحق ولا يامرون بمعروف ولا ينهون عن منكر. واذا نحن بحثناهم عن أمر لا يقنعون في الجواب.

وأعيانا أمرهم، مع انا والحمد لله متعودون على الحق ومجبولون على قبوله والعمل به. فمن أجل ذلك خاطبناهم بهذه الكراسة تعريفا لهم بما نحن عليه من الجد. وبسبب اقتنائنا لهذا الجند من الوصفان. وقلنا لهم إن أنتم قلتم لا يسوغ شراء هؤلاء الوصفان لهذه المصلحة جميع أهل هذا المغرب من أهل مدنه وقراه، ارونا من يقوم بهذا الوظيف الديني. فافتونا بفتوى تبيح لنا ترك اقتناء الجند واتخاذه رأسا. وها الكراسة المذكورة تصلكم، فطالعوها واعرفوا ما تضمنته، وهل ما خاطبتهم به صواب أم لا. ولا نكلفكم عليها على جميع من هنالك من الكناديز الذين يزعمون أنهم طلبة، وما عرفوا إلا الخلوات، وإذا سئلوا عن علم تلجلجت ألسنتهم..."

Mohamed El Fasi, Lettres inédites de moulay Ismael, étude, textes et photocopies des lettres, Hespéris - tamuda, Rabat, 1962.

I. التقديم

1. نوعية النص: وثيقة رسمية (رسالة من المولى إسماعيل إلى العالم عبد القادر الفاسي)

2. صاحب النص

ازداد المولى اسماعيل ابن مولاي الشريف سنة 1646 م من امرأة زوجها أبي حسون السملالي لمولاي الشريف عندما كان سجينا عنده.

عندما تولى المولى رشيد السلطة عين المولى اسماعيل خليفة له بفاس ومراكش وأخيرا بمكناس. بما أن الفترة تتسم بالاضطرابات لتعدد الكيانات السياسية، اكتسب المولى اسماعيل خبرة أثناء مزاولته للسلطة. واستفاد من هذه التجربة لتأسيس نظام يقوم أساسا على توحيد البلاد تحت سلطة قوية للحيلولة دون انزلاقها مرة أخرى.

بويع المولى اسماعيل في 15 ذي الحجة 1082/ 13 أبريل 1672. ونهج سياسة تتسم بالصرامة والشدة. ولترسيخ وتدعيم السلطة قام بتكوين جيش نظامي من العبيد والحراطين، وتمكن بواسطة هذه القوة الضاربة من إحكام قبضته على البلاد وفرض نظام ضرائبي وتحرير بعض الثغور. استمر المولى اسماعيل في الحكم إلى غاية وفاته سنة 1727.

3. السياق التاريخي للنص

وجهت الرسالة إلى العالم محمد بن عبد القادر الفاسي بتاريخ 1105ه/ 1683 م، أي بعد 11 سنة من تولية المولى اسماعيل. وخلال هذه الفترة واجه المولى اسماعيل عدة ثورات وخاصة المجموعة الصنهاجية بالأطلس المتوسط. ورغب في تكوين جيش العبيد للسيطرة على البلاد.

II. التحليل

1. الفكرة الرئيسية

الرغبة في تكوين جيش نظامي لتوحيد البلاد وتقوية المخزن

2. الأفكار الثانوية

ضرورة تكوين الجيش لتقوية الدولة ودرء الأخطار الخاجية

عدم قدرة القبائل وسكان المدن على توفير الجند اللازم.

الاتصال بالعلماء للموافقة على المشروع

3. الشرح التفصيلي

- محمد بن عبد القادر الفاسي

ولد محمد بن عبد القادر الفاسي بفاس سنة 1042ه/1632 م. درس على يد والده وكبار علماء فاس. يعتبر الشيخ محمد من الشخصيات العلمية بالمغرب ، وكانت له حضوة خاصة لدى السلطان مولاي اسماعيل الذي راسله في العديد من القضايا ومن بينها قضية العبيد قصد استصدار فتوى لصالح تأسيس جيش العبيد. مما سبب له كثير من

المتاعب لعدم الاجماع. توفي الشيخ محمد سنة 1116ه/ 1704م.

- المولى رشيد

ازداد المولى رشيد بن مولاي الشريف سنة 1041ه/ 1631 م أي السنة التي بويع فيها مولاي الشريف بتافيلالت. غادر مولاي رشيد تافيلالت بعد وفاة أبيه وزار مناطق مختلفة من المغرب طالبا المساعدة من بينها الزاوية الدلائية. وفي الشرق تمكن بمساعدة إحدى الزوايا من تكوين جيش من قبائل المنطقة للدخول في مواجهة مع أخيه المولى محمد الذي قتل في المعركة الأولى سنة 1664. تمكن المولى رشيد من القضاء على جميع الكيانات وتوحيد البلاد وتوفي سنة 1672 تاركا السلطة لأخيه المولى اسماعيل.

-عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي

هو الامام العلامة أبو زيد عبد الرحمن ابن الشيخ عبد القادر الفاسي. ولد بفاس سنة 1040ه، تتلمذ على يد والده وعمه وكبار علماء فاس. درس بالقرويين وعرف عنه انكبابه

على التأليف. توفي عبد الرحمن سنة 1096ه ودفن بزاويتهم بفاس.

III. التعليق

شرع المولى اسماعيل في تجميع السود من القبائل والمدن لتكوين جيش نظامي على غرار جيش الانكشارية التركي لايدين بالولاء إلا للسلطان.

إلا أن هذا المشروع اصطدم بمعارضة بعض العلماء وعلى رأسهم عبد السلام جسوس. فوقع جدال فقهي حول شرعية أو عدم شرعية التجنيد. وانبنى رفض المعارضين على عدم إجبار الأشخاص على التخلي عن ممتلكاتهم ومن بينها العبيد، كما لايجوز إكراه الأحرار من السود على الانخراط في الجندية. فاضطر المولى اسماعيل لتبرير موقفه وشرعنته للاتصال بالعلماء ومراسلتهم قصد استصدار فتوى تبيح المشروع. لأن الموقف المعارض بإمكانه تهديم الأساس القانوني لتكوين الجيش. ومن

هنا الرسائل العديدة من السلطان إلى العلماء والتي نشر البعض منها.

ويظهر من خلال الوثيقة الرغبة الجامحة للسلطان لتقوية المخزن لتجاوز حالة الضعف والفوضى التي عانت منها البلاد منذ وفاة أحمد المنصور الذهبي سنة 1603 بإقامة جيش محترف خاضع لتدريب عسكري ولا يرتبط بأية عصبية، لما يطرحه المجندون من القبائل من مشاكل لضعفهم وارتباطهم ببلدهم وأسرهم ورفضهم أحيانا المساهمة في الحركات العسكرية. ولم يقتصر التبرير على تقوية المخزن بل الدفاع عن البلاد ضد الأخطار الخارجية الأوروبية والتركية وتحرير الثغور المحتلة.

كان الهدف من المراسلات الحصول على فتوى من العلماء تبيح تكوين الجيش. استمر المولى اسماعيل في مشروعه رغم المعارضة، بل قتل الفقيه جسوس بفاس زعيم الفريق المعارض بالمدينة. إلا أن المعارضة أدت على الأقل إلى التمييز في سجلات الجيش بين العبيد والأحرار والحراطين. ووصل عددهم حسب الزياني إلى 150000 وزعوا على مختلف القلاع التي

شيدت لاقامتهم. وبهذا أضاف المولى اسماعيل عصبية جديدة وعنصر تفكك إلى العصبيات القديمة. وظهر هذا جليا بعد وفاته سنة 1727 حيث استمرت الفوضى لمدة ثلاثين سنة.

النص رقم 4

"أخبار حول ثورة العبيد بمكناس والظروف المحيطة بها. ذهاب السلطان إلى مكناس.

في الرسائل السابقة التي تشرفت بوضعها تحت أعين سيادتكم أظهرت القلق المنتشر جراء عقلية التمرد التي انتشرت في مجموع أماكن الامبراطورية. وأصبح التخوف من أحداث مكناس والتي تحولت إلى عصيان. وأحطت سيادتكم علما في الرسالة المؤرخة ب 10 من الشهر الحالي رقم 247 بقدوم مولاي علي، الابن الأكبر للامبراطور، إلى الرباط. وعلمت في نفس اليوم بأن الغاضبين عرضوا حكم الامبراطورية على هذا الأمير، ولكنه رفض احتراما لأبيه...فأرسل الغاضبون مبعوثين لفاس للاتصال بالمولى اليزيد الأمير الطامع في الحكم دون اعتبار لأبيه. في البداية تجنب الأمير المبايعة المستعجلة من طرف العبيد خوفا

من عدم الثبات على موقفهم. في خضم الأحداث أخبر اليزيد أباه عن الوضعية ورغبته في القضاء على الثورة.

ورغم أن الغاضبين اختاروا المولى اليزيد، فقد كان قليل منهم موافقين على بيعة الأمير الذي لايتمتع إلا بخصال عسكرية مما أدى إلى انقسامهم. وتقاتل الطرفان عدة مرات، ويقال بأن فرسين للمولى اليزيد قتلا أثناء المعارك.

بمجرد ما علم السلطان بالمجرى الذي اتخدته اضطرابات مكناس ونتائجها المحتملة، قرر مغادرة مراكش في 9 من الشهر الحالي بعدما طالب من مختلف الأقاليم إرسال المجندين في الوقت المحدد.

توقف هذا الأمير خلال طريقه في إقليم تامسنا حيث كان القريون يمارسون النهب. وأمر فرقة من جيشه بمهاجمتهم، ولكن الجنود انسحبوا بمجرد إظهار القرويين عزمهم على المقاومة. وأخيرا وصل الأمير إلى ضواحي هذه المدينة يوم 22 وخيم بعيدا عن النهر على حوالي مرحلتين ونصف. في 23 أمر الامبراطور بإرسال مدفعين و 200 قديفة إلى المخيم، الأمر الذي تم تنفيذه. في 24 قدم الأمير نفسه إلى مدينة الرباط التي أقر

بها قبل أربع سنوات أربعة آلاف عائلة من العبيد. فاستدعاهم مع زعمائهم لأداء الصلاة مجتمعين ثم اتخذت الاجراءات لزحف 500 من الخيالة والف من المشاة. ولم يتجاوز عدد القوات المخصصة لهذه المهمة 6000 آلاف...

ونعتقد أن سكان فاس التجار والصناع الأغنياء لا يرغبون في تعريض أنفسهم لغضب السلطان بالمساهمة في الأحداث بسبب الضرائب المفروضة من طرف الامبراطور عن طريق الانضمام للمتمردين.

في 26 اتجهت الفرق العسكرية المتجمعة في المخيم إلى مكناس....وأعتقد، رغم الأخبار المتضاربة أن الامبراطور تمكن من القضاء على الثورة"

Grillon, Pierre, Un chargé d'affaire au Maroc: la correspodance du consul louis de Chénier (1767-1782), Paris, 1970, tome 2, p.701.

(ترجمة خاصة)

I. التقديم

1. نوعية النص: وثيقة رسمية

2. صاحب النص

ازداد لويس دو شينيي Louis de Chénier يوم 3 يونيو 1722 بمنتفور Montfort، قرية صغيرة بمقاطعة لانكدوك Languedoc. كان أبوه كيوم شينيي تاجرا بمدينة كركسان ولكنه أفلس بعد استثمار أمواله في الصناعة.

تربى لويس دو شينيي على يد خاله الذي أصبح مراقبا ماليا سنة 1732 ثم مفتشا في قطاع النسيج. بتوجيه من خاله عمل دو شينيي في التجارة الخارجية. وفي شهر غشت سنة 1742 عمل بإحدى الشركات التجارية الفرنسية في القسطنطينية. في سنة 1747 رجع إلى فرنسا ونظرا لخبرته عين رئيسا لاحدى الشركات.

في سنة 1750 تم انتخابه ممثلا للتجار الفرنسيين لدى السفير بالامبراطرية العثمانية. عمل دو شينيي جاهدا للوصول إلى بعض المناصب. رجع إلى فرنسا سنة 1765 واستقر في

باريس. ونظرا لتجربته الطويلة ومعرفته بالعالم الاسلامي عين قنصلا عاما لفرنسا بالمغرب سنة 1767 بعد توقيع معاهدة للسلم والتجارة بين الدولتين. واستمرت إقامته في المغرب إلى 15 شتنبر 1782.

تمثلت مهمة القنصل الفرنسي، من ماي 1767 إلى يوليوز 1773 في السهر على تطبيق بنود المعاهدة المغربية وخاصة قضايا الأسرى والملاحة وتنظيم القنصلية.أما الفترة الثانية الممتدة من أبريل 1775 إلى 1782 فقد اتسمت بالطابع السياسي. وخلال هذه الفترة وفي سنة 1782 توترت العلاقات بين شينيي وسيدي محمد بن عبد الله مما دفع بالحكومة الفرنسية لاستبداله بقنصل آخر دير وشي Du Rocher.

بحكم معرفته بالعالم الاسلامي وثقافته ألف لويس دو شينيي عددا من المؤلفات من بينها: بحوث تاريخية حول المور وتاريخ امبراطورية المغرب، باريس، 1787.

Recherches historiques sur les maures et l'histoire de l'empire du Maroc.

وهو مكون من ثلاثة أجزاء، خصص الجزء الثالث لفترة سيدي محمد بن عبد الله. اعتمد في كتابته على المذكرات العامة التي كان يكتبها انطلاقا من سنة 1777 طبقا للتعليمات الوزارية و على مراسلاته القنصلية الموجودة حاليا في الأرشيف الوطني بباريس وتشمل الفترة (1767-1782) وهي عبارة عن رسائل ومذكرات عامة وتقارير حول الملاحة المغربية. والنص هو رسالة بعثها لويس دو شينيي إلى الحكومة الفرنسية.

3. السياق التاريخي للنص

عندما عين لويس دو شينيي قنصلا عاما لفرنسا بالمغرب سنة 1767، استقر بمدينة الرباط وكان يتتبع مختلف الأخبار سواء المتعلقة بالعلاقات بين المغرب والدول الأوروبية الأخرى أو الأحداث الداخلية. هذه الرسالة كتبها لويس دو شينيي بمقر إقامته بتاريخ 30 نونبر1778 يخبر حكومته بثورة عبيد مكناس.

II. التحليل

1. الفكرة الرئيسية

-ثورة عبيد مكناس ومبايعتهم للمولى اليزيد إلا أن السلطان تمكن من القضاء على التمرد.

2. الأفكار الثانوية

-اضطراب الأوضاع بالمغرب

-رفض مولاي علي بيعة العبيد

-تزعم اليزيد لثورة العبيد

-انقسام العبيد

-تكوين محلة من طرف السلطان والتوجه إلى مكناس للقضاء على الثورة.

-رفض سكان فاس المشاركة في الثورة

3. الشرح التفصيلي

-مولاي علي

من بين أبناء السلطان سيدي محمد بن عبد الله. لكنه لم يتمتع بشخصية كالتي كانت للمولى زيدان أو المولى عبد الرحمن. كلفه السلطان ببعض المهام. ولكنه بقي في الظل.

- المولى اليزيد

أظهر اليزيد خلال طفولته وشبابه من الشجاعة والجرأة والولوع بالفنون الحربية ما جعله يبلغ حضوة مرموقة لدى والده الدي كلفه بمجموعة من المهام. إلا انه تمرد على أبيه عدة مرات. وتميز عهده القصير (1790-1792) بسياسة مخالفة لوالده، حيث ألقى القبض على أهم الشخصيات ومنهم المؤرخ الزياني. كما أعلن عدائه للدول الأوروبية وخاصة اسبانيا. وبعد فشل سياسته انتشرت الثورات ومن بينها ثورة المولى هشام. قتل اليزيد في مواجهة عسكرية بمراكش يوم 17 فبراير 1792.

- العبيد:

الجيش الذي كونه المولى اسماعيل

-مكناس

تقع مدينة مكناس في سهل سايس المجاور للاطلس المتوسط. اتخذها المولى اسماعيل عاصمة له. تجمع اغلب المصادر التي تعرضت للحديث عن مدينة مكناس أن اسمها مستمد من اسم قبيلة مكناسة التي كانت تقطن مجموعة من القرى والمداشر على ضفاف نهر بوفكران. ثم تحولت إلى مدينة بحكم موقعها الاستراتيجي.

عرفت المدينة أهم توسع عمراني في عهد المولى اسماعيل الذي اتخذها عاصمة له، حيث أحيطت بالأسوار والأبراج، وشيدت بها القصور والمساجد وزينت بالحدائق على غرار العواصم التقليدية.

- فاس

تشير كثير من المصادر إلى أن مدينة فاس شيدت من طرف ادريس الثاني في نهاية القرن الثاني للهجرة. إلا أن الوثائق أثبتت أن ادريس الأول هو من وضع الأسس الأولى للمدينة

سنة 172ه/ 789 م. وكانت فاس أول نواة حضرية بعد انتشار الاسلام. بنيت في البداية على الضفة اليمنى للنهر وكان سكانها من الأمازيغ، ثم امتدت إلى الضفة اليسرى مع وصول المهاجرين العرب والجاليات اليهودية. ظلت المدينتان منفصلتان محاطتان بأسوار يصل بينهما قنطرة. قام يوسف بن تاشفين بهدم الأسوار وإحاطة المدينة بسور واحد. وضمت المدينة جامع القرويين إحدى أهم المراكز التعليمية في العالم الاسلامي.أما تاريخ فاس فيمتزج بتاريخ المغرب وشمال افريقيا والأندلس.

- مراكش

شيدت مراكش على يد يوسف بن تاشفين سنة 1070، واتخدها المرابطون عاصمة لهم. ومع تنامي قوة الامبراطورية المرابطية أصبحت مراكش مركزا ثقافيا وسياسيا في العالم الاسلامي. بعد استتباب الأمر للموحدين بعد استيلائهم على المدينة، اتخذوها عاصمة لهم كذلك وبنوا عدة معالم: الأسوار، مسجد الكتبية ومجموعة من الحدائق. إلا أن المرينيين فضلوا فاس على مراكش. ولم تستعيد مراكش مكانتها إلا في عهد

السعديين. ورغم اختيار ملوك الدولة العلوية لفاس ومكناس وفيما بعد الرباط كمقرات للحكم ظلت مراكش عاصمة للجنوب يتردد عليها السلاطين.

- تامسنا

اقترن اسم تامسنا بإمارة برغواطة التي تأسست سنة 123ه/742م. وحسب بعض المؤرخين شمل نفوذها مجموع السهول الأطلسية. تامسنا كلمة أمازيغية استعملت في مختلف الفترات للدلالة على منطقة جغرافية. واعتبر كثير من الباحثين منطقة الشاوية هي تامسنا. وحسب الحسن بن محمد الوزان تمتد تامسنا بين أبي رقراق شمالا وأم الربيع جنوبا والمحيط الأطلسي غربا والأطلس المتوسط شرقا. أي أنها تتكون من سهول الشاوية ومعظم الهضبة الوسطى وسهل تادلا.

III.التعليق

من الصعب الاحاطة بالأسباب الحقيقية للعصيان. حسب لويس دو شينيي كان الفقر وراء الثورة. وبالفعل عرف المخزن أزمة مالية انطلاقا من سنة 1774 نتيجة المصاريف

الضخمة أثناء حصار مدينتي مليلية وسبتة وتدهور الانتاج الفلاحي. واضطر السلطان إلى الرفع من الضرائب لتعويض النقص. إلا أن الاجراءات الجديدة أدت إلى اضطرابات. وتشير رسائل لويس دو شينيي لسنة1777 إلى اندلاع الثورات والحركات المخزنية لتحصيل الضرائب . في حين لا يمكن أداء أجور الجنود مع فراغ الخزينة. فانتفض العبيد لتأخر المخزن في أداء أجورهم. وحسب الزياني يكمن السبب المباشر لثورة العبيد في رفضهم الانتقال من مكناس إلى طنجة. وشرعوا مباشرة في القتل والنهب. فأرسل السلطان ابنه المولى اليزيد ولكنه انضم للثوار وتمت مبايعته. وفشل الأمير في الحصول على تأييد كيش الودايا وقبيلتي كروان وآيت يدراسن. وجرت معركة انهزم فيها العبيد.

يمكن تتبع مجرى الأحداث بالاعتماد على رسائل لويس دو شينيي. في شهر غشت من سنة 1778 رفض العبيد تغيير مكان إقامتهم. فاندلعت الثورة في مكناس حيث نهب بيت المال في هذه المدينة. واتخذوا من الضرائب المفروضة غطاءا لاضفاء الشرعية على تحركهم. فاتصلوا بعلماء فاس والعبيد المستقرين بالرباط الذين رفضوا الانضمام إليهم. وحاولوا

مبايعة الابن الأكبر لسيدي محمد مولاي علي الذي رفض العرض. ثم بايعوا المولى اليزيد. ولخطورة الوضع استعمل السلطان الديبلوماسية لحل المشكل حيث أرسل عدة مبعوثين للتفاوض مع الثوار قبل أن ينتقل السلطان إلى مكناس لمعالجة الوضع. بحضوره تمكن من حل المشكل دون صعوبات.

في اطار التنظيم العسكري وزع سيدي محمد بن عبد الله العبيد على مختلف المدن المغربية، ولم يبقى في مكناس إلا 5000 جندي . ولم تكن هذه المجموعة منسجمة حيث انقسمت إلى فرقتين: مؤيدة ومعارضة. كما أنهم لم يحصلوا عن أي دعم. ولعدم قدرتهم على الاستمرار في المقاومة تخلى العبيد عن ثورتهم في حين طلب المولى اليزيد العفو من أبيه.

بعد هذه الأحداث اتخذ السلطان إجراءات لتفكيك جيش العبيد خاصة وأن مداخيل بيت المال لا تسمح بالانفاق على جيش نظامي لتدهور الانتاج الفلاحي والمبادلات مع الخارج لانتشار الجفاف. فتم توزيع عبيد مكناس على مجموعة من المدن عبر مراحل.

وفي المدن الساحلية شرع العبيد في نهب السكان وقطع الطرق. بل إن عبيد طنجة أعلنوا ثورة ضد السلطان وطردوا باشا المدينة محمد بن عبد المالك. في سنة 1780 أمرهم السلطان بالعودة إلى مكناس مدينتهم المفضلة. وفي طريق العودة هوجموا من طرف القبائل العربية وأسر العديد منهم. وحسب الضعيف كان عدد المعاقبين 12000 جندي، في حين تحدث شينيي عن معاقبة ما بين 10000 إلى 15000 عائلة. كما أجبر السلطان عبيد الرباط على مغادرة المدينة. وبهذه الاجراءات تم حل الجيش النظامي المكون من طرف المولى اسماعيل.

المصادر والمراجع

بالعربية

الافراني، محمد الصغير، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشادلي، الرباط، 1998.

ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، بيروت، 1977

بنمنصور عبد الوهاب، مجموعة الوثائق، 4 أجزاء، الرباط، 1976-1977

التوفيق أحمد، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر: اينولتان (1850-1912)، الدار البيضاء، 1978.

حجي، محمد،الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الرباط، 1964.

حركات، ابراهيم، المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء، 2009.

الزياني، أبو القاسم، الخبر عن أول دولة من دولة الأشراف العلويين، تحقيق هوداس، باريس، 1882.

بوسلام، محمد بن البشير، تاريخ قبيلة بني ملال (1854-1916). جوانب من تاريخ دير الأطلس المتوسط ومنطقة تادلا، الرباط، 1991.

الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)، تحقيق أحمد العماري، الرباط،1986.

العروي عبد الله،مفهوم التاريخ. الألفاظ والمذاهب، بيروت، 1992، الجزء الأول.

ليفي بروفنصال، مؤرخو الشرفاء، تعريب عبد القادر الخلادي، الرباط، 1977

مارمول، كاربخال، افريقيا، الرباط 1988.

الناصري، أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، الدار البيضاء، 1954-1956

بالفرنسية

Archives nationales de Paris, Maroc

A.E.B1 (825-843)

Marine C1, C7

Caillé, J., La ville de Rabat jusqu'au protectorat français, Paris, 1949

Coindreau, R., les corsaires de Salé, Casablanca, 1948

Cour, A., L'établissement des dynasties des Chérifs et leurs rivalités avec les turcs de la rége,ce d'Alger (1509-1830), Paris, 1904.

De la Chapelle, Un document sur la politique du sultan moulay Ismail dans l'atlas, Archives marocaines, vol.28,1932

Dragué, G., Esquisse d'histoire religieuse au Maroc, Paris, 1950

Goulven, J., La place de Mazagan sous la domination portugaise (1502-1769), Paris, 1917

Guillaume, Léon Augustin, Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas central (1912-1933), Paris, 1946.

Laaroussi, M., La saignée démographique Au XVIIIè siècle. Les calamités et leurs

conséquences, revue de la faculté des lettres et des sciences humaines, Béni Mellal, n°2

Laroui, Abdallah, les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830-1912), Paris, 1977.

Meunié, J., Le Maroc saharien des origines à 1670, Paris, 1982

Nékrouf, Y.,Une amitié orageuse. Moulay Ismail et Louis XIV, Paris, 1987

Magalli, M., La relation de Thomas Pellow.Une lecture du Maroc au XVIIIè siècle,Paris, 1983

Mezzine, Larbi, Le Tafilalt. Contribution à l'histoire du Maroc aux XVIIè et XVIIIè siècle, Rabat, 1987

Penz, Ch., Journal du consulat général de Fra,ce au Maroc, paraphé par Louis de Chénier, Casablanca, 1943.

الفهرس